مِنْ غَرَائبِ التَّفْسير للكِرْمانيِّ بينَ الدّلالةِ المُعجميَّة والدّلالة السِّياقية

إعداد/

د. محمد عبدالعال السيِّد إبراهيم

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر

ملخص بحث:

مِنْ غَرَائبِ التَّفْسير للكِرْمانيِّ بينَ الدّلالةِ المُعجميَّة والدّلالة السِّياقية

إعداد/

د. محمد عبدالعال السيِّد إبراهيم

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر

تناولت الدراسةُ نماذجَ من غَرَائبِ التَّفْسير للكِرْمانيّ، بينَ الدّلالةِ المُعجميَّة والدّلالة السِّياقية، وترجعُ أهميةُ هذه الدراسة إلى أنَّ مؤلف هذا الكتاب الإمام الكِرْمانيَّ وضع في كتابه بعض الأقوال التي تُعَدُّ من العجائب والغرائب عند عوام الناس، وقد أوردها للتحذيرَ من تداولِها.

كما تأتي أهميةُ كتاب الكرماني المُسَمَّى (غرائب التفسير وعجائب التأويل) في أثره فيمن جاء بعده من العلماء، كابن الهائم، والسيوطي، والآلوسي، وغيرهم.

وقد اقتضت طبيعةُ البحث أن يكون في مقدمةٍ وتمهيدٍ وأربعة مباحث وخاتمةٍ:

أما المقدمةُ: فذكرتُ فيها سببَ اختياري للموضوع، ومنهجي في عرضه.

وأما التمهيدُ: فقد اشتمل على أمرين:

الأول: التعريف بالإمام الكرماني، وكتابه.

الثاني: تعريف الغريب، ونشأته.

المبحث الأول: ما خالف السياق.

المبحث الثاني: ما سبب غرابته اختلاف اللهجات.

المبحث الثالث: ما سبب غرابته العجمة.

المبحث الرابع: ما وصفه الكرماني بالغرابة وليس بغريب.

ثم ذيَّلْتُ البحثَ بخاتمةٍ ضمَّنتها أهمَّ النتائج التي تمخَّضَتْ عنها الدِّراسةُ، مع فهارس للمصادر والمراجع، والآيات القرآنية محل الدراسة، والموضوعات.

Research Summary

Preparation/

Dr. Mohamed Abdel-Aal Mr. Ibrahim

Assistant Professor of Language Origins

At the Faculty of Arabic Language in

Cairo, Al-Azhar University

The study dealt with models of exotic explanations of al-Kermani, between the lexical and contextual significance.

The importance of this study is due to the fact that the author of this book Imam al-Kermani put in his book some of the words that are considered wonders and oddity among the common people, and has cited them to warn against circulation.

The importance of the book Al-Kermani (Gharaabul tafseer wa aagaabul taaweel) in its impact on those who came after him of scientists Ibnul Haaim, Suyuti, Alusi, and others.

The nature of the research required to be in the forefront and a prelude and four investigations and a conclusion:

As for the introduction: I mentioned the optional reason for the topic, and a systematic presentation.

The preamble included two things:

First: Definition of Imam al-Kurmani, and his book.

Second: the definition of the stranger, and its upbringing.

The first topic: what is contrary to the context.

The second topic: what caused his strangeness different dialects.

The third topic: what caused his strangeness.

The fourth topic: what al-Kermani described as strange and not strange.

I then appended the research to a conclusion that included the most important results of the study, with indexes of sources and references, and the verses of the Koran under study, and topics.

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ الذي هَدَى بكتابِهِ القُلوب، وأنزلهُ في أوْجزِ لفظٍ وأعْجزِ أُسلوب، فأعيتْ بلاغتُه البُلغاء، وأعجزتْ فصاحتُه الفُصَحاء، وأذهلتْ روعتُه الخُطباء، والصلاةُ والسلامُ على السِّراجِ المنيرِ، والبشيرِ النذيرِ، وعلى أصحابِهِ وأتباعِهِ الغُرِّ الميامين، ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، أمَّا بعد.

فإنَّ العلومَ وإنْ تباينتْ أصولُها، وشرَّقتْ وغرَّبتْ فصولُها، وتنوعَّتْ أبوابُها واختلفتْ أحوالُها، فإنَّ أعلاها قدرًا، وأغلاها مهرًا، وأسماها معنًى، وأعظمَهَا مبنًى، وأجلاها بيانًا، وأحلاها لسانًا، وأقومَهَا قيلًا، وأصحَّها دليلًا، وأوضحَهَا سبيلًا، علمُ التفسير لكتابِ الملكِ القديرِ؛ لأنَّه علمٌ يتعلقُ بكتابِ اللهِ (ﷻ)، فعلمُ التفسير شمسُ ضُحاها، وبدرُ دُجاها؛ فشرفُ كلِّ علمٍ بشرفِ موضوعِهِ، وهل هناك أشرفُ من كلامِ الله (ﷻ)؟.

ولأجلِ هذا لمْ يلقَ كتابٌ من العنايةِ والرعايةِ مثلَ ما لقي كتابُ ربنا (ﷻ)، فقد عكفَ عليه المسلمون في كلِّ عصرٍ ومصرٍ، تفسيرًا وبيانًا وشرحًا، يستخرجُون كنوزه، ويكشفُون خفاياه، وينشرُون غريبَه، وهم يَعُدُّونَ ذلك دينًا وعبادةً يتقرَّبون بها إلى الله (ﷻ)؛ لِيقينِهم أنه لا شرفَ إلا والقرآنُ سبيلٌ إليه، ولا خيرَ إلا وفى آياته دليلٌ عليه، فَرَاحُوا يستنبطون آياتِ القرآن ليقفوا على ما فيها من مواعظَ وعبرٍ، وأخذوا يتدبَّرون في آياته ليأخذوا من مضامينها ما فيه سعادةُ الدنيا وخيرُ والآخرة.

ولغةُ القوم كانتْ في بداية عهدهم خالصةً مما يشوبُها من اللحون، ممَّا ساعدهمْ على فهمِ آياتِ القرآنِ، وإدراكِ معانيه، وظلُّوا على ذلك سنين عددًا، حتى خَلَف من بعدهم خَلْفٌ أهملوا هداية القرآن، وركبوا رأسهم في

طريق الغواية، فَلم ينهجوا هذا المنهجَ الواضحَ القويمَ الذي سلكه السَلَفُ الصالحُ في فهم القرآن الكريم والأخذ به، بل أخذوا يتأوَّلون القرآن على غير تأويله، حتى سلكوا في تفسير ألفاظه وآياته طرقًا ملتوية، فيها تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول، فحرَّفوا الكلم عن مواضعه، وفسَّروا ألفاظه على تَحَمُّل ما لا تدلُّ عليه، فكان من وراء ذلك فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبيرٌ(١).

ومن بين هذه التفاسير التي عَرَضَتْ لهذه التعسُّفاتِ الظاهرةِ، والطرقِ المُلتويةِ، والتكلُّفاتِ غيرِ المقبولةِ، تفسيرُ برهان الدين الكرماني (المتوفَّى سنة ٥٠٥هـ) المُسمَّى: (غرائب التفسير وعجائب التأويل).

ومن ثَمَّ كانت هذه الدراسة جمعًا وعرضًا وتنبيهًا لتلك التفاسير الغريبة، وقد اقتصرتُ فيها على ما صرَّح به الكرماني بأنه من غرائب التفاسير، وسميتها:

من غرائب التفسير للكرماني بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية

أهميةُ الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع:

وترجعُ أهميةُ الدراسة إلى أنَّ الشيخ ضمَّنَ كتابه هذا "أقوالًا هي عجائبُ عند العوام، وغرائبُ عمَّا عُهِدَ عن السلف، بل هي أقوالٌ منكرةٌ، لا يحل الاعتقادُ فيها، ولا ذكرُها، إلا للتَّحذير"(٢).

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي: ص ٦، ٧ بتصرف، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: ٤٢٧/١، مكتبة المثنى– بغداد ١٩٤١م، وينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢٣١/٤، تح/ محمد أبو الفضل ==

وقد أراد الشيخُ بإيرادها التحذيرَ من تداولِها، والاغترارِ بها بين العوامِّ، وقد أكَّد ذلك بقوله عند تفسير سورة الفلق: "وكلُّ ما وصفتُه بالعجيب ففيه أدنى خلل ونظر"(١).

ولذلك لم يكن الشيخُ يقفُ أمام هذه الغرائب والعجائب مكتوفَ اليد، بل كان يردُّها، ومن ذلك قوله في بعض الغرائب: "وهذه وأمثالُها يجبُ الاستغفارُ منها"(٢).

كما تأتي أهميةُ هذا السفر العظيم في أثره فيمن جاء بعده:

فقد نقل عنه ابنُ الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) في تفسيره أكثر من خمس عشرة مرة(٣).

كما تأثر به السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) في العديد من مؤلفاته:

فنقل عنه في الإتقان في أكثر من أربعين موضعًا(٤).

وفي الإكليل في استنباط التنزيل أكثر من عشر مرات(٥).

==

إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، والأعلام لخير الدين الزركلي: ١٦٩/٧، دار العلم للملايين، ط ١٥، أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني: ١٤١٣/٢، تح/ د. شمران العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، د ت.

(٢) غرائب التفسير للكرماني: ٩٣/١.

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: صفحات ٩١، ٩٦، ٩٩، ١١٢، ١١٩، ١٣٥، ١٤٠، تح/ د ضاحي عبدالباقي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٤) منها: ١٩٤/١، ٢١٧/١، ١٣١/٢، ١٤٠/٢، ٢٣٥/٢، ٢٣٣/٢.

(٥) منها: الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي: ٢٧، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٩، تح/ سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

وفي المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب في سبعة مواضع[١].

وفي معترك الأقران أكثر من عشرين مرة[٢].

وفي مفحمات الأقران قرابة العشرين موضعًا[٣].

كما نقل عنه الآلوسي في تفسيره أكثر من أربعين مرة[٤].

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمةٍ وتمهيدٍ وأربعة مباحث وخاتمةٍ:

أما **المقدمةُ**: فذكرتُ فيها سببَ اختياري للموضوع، ومنهجي في عرضه.

وأما **التمهيدُ**: فقد اشتمل على أمرين:

الأول: التعريف بالإمام الكرماني، وكتابه.

الثاني: تعريف الغريب، ونشأته.

المبحث الأول: ما خالف السياق.

---

(١) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي: ٧٢، ٧٩، ٩٢، ١١٤، ١١٨، ١٤٧، ١٥٣، تح/ التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة- بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي: ٥٢/١، ٦٥/١، ١٨٣، ١١٩/١، ٢٧١/١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٣) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي: ص ١٤، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٦٩، ٧٠، ٧٨، تح/ د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق- بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي: ٥٤١/١، ٢٢٢/٢، ١٣٩/٣، ٢٩/٤، ٣٥/٤، تح/ علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

المبحث الثاني: ما سبب غرابته اختلاف اللهجات.

المبحث الثالث: ما سبب غرابته العجمة.

المبحث الرابع: ما وصفه الكرماني بالغرابة وليس بغريب.

ثم ذيَّلْتُ البحثَ بخاتمةٍ ضمَّنتها أهمَّ النتائج التي تمخَّضَتْ عنها الدِّراسةُ، مع فهارس للمصادر والمراجع، والآيات القرآنية محل الدراسة، والموضوعات.

منهج البحث:

أمَّا المنهجُ الذي سلكتُهُ في هذا البحث فقد تمثل في الخطوات الآتية:

١- جمعتُ الألفاظ الواردة في غرائب التفسير للكرماني، واكتفيت بما صرح به أنه من الغريب.

٢- صدَّرتُ معالجة اللفظة بالآية القرآنية التي فيها الكلمةُ الغريبةُ، مع بيان اسم السورة ورقم الآية، فكانت جملةُ هذه الألفاظ سبعَ عشرةَ لفظة، واضعًا إياها تحت المبحث المناسب لدراستها.

٣- ذكرتُ نصَّ الكرماني في كلِّ آية كما ورد في كتابه الغرائب، وألحقتُه بدراسةٍ تحليليةٍ مفصَّلةٍ لأقوال المفسرين وأهل اللغة والغريب، مع بيان رأي الباحث في كل منها، مُرجِّحًا من الآراء ما أراه راجحًا، ومُضعِّفًا ما كان غيرَ ذلك، مستشهدًا ببعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية متى احتاج الأمرُ، مع التوثيق من المصادر المعتمدة.

٤- راعيتُ الترتيب القرآني في وضع الكلمات داخل كل مبحث.

واللهَ (ﷻ) أسألُ أنْ يكونَ هذا البحثُ لبنةً من لبناتِ الحفاظ على ألفاظ القرآن الكريم، والذَّود عن حياضه، كما أسألُه (ﷻ) أنْ يجعلَ كلَّ

أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، إنَّه نعم المولى ونعم النصير، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك على سيدِنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

د. محمد عبدالعال السيد إبراهيم

تمهيد

أولاً: التعريف بالإمام الكرماني، وكتابه:

اسمه ونسبه:

هو الشيخُ الإمامُ أَبُو الْقَاسِم برهَانُ الدّين محمودُ بنُ حمزةَ بن نصر الكرْمَانيُّ النحويُّ الشَّافِعِيُّ الْمصْرِيُّ، الْعَالمُ الْفَاضِلُ الْمُحَقِّقُ الْعَلامَةُ، مقرئٌ، مفسرٌ، فقيهٌ، نحويٌّ، صرفيٌّ.

يُلقَّبُ بأبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرفُ بتاج القراء: فهو عالمٌ بالقراءات، وأحدُ العلماءِ الفقهاءِ النبلاءِ(١).

أثنى عليه ياقوت الحموي بأنه: كان عجبًا في دقة الفهم وحسن الاستنباط(٢).

وقال فيه ابنُ الجزري: إمامٌ كبيرٌ، محققٌ، ثقةٌ، كبيرُ المحل(١).

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/ ٢٦٨٦، تح/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ٢/٢٧٧، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان/ صيدا، وطبقات المفسرين لشمس الدين الداوودي المالكي: ٢/٣١٢، دار الكتب العلمية- بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، وطبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنهوي: ص ١٤٩، تح/ سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم- السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، والأعلام للزركلي: ٧/١٦٨، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة: ٣/٣١٠، تح/ محمود عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول- تركيا، ٢٠١٠م، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة الدمشقي: ١٢/١٦١، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/ ٢٦٨٦.

ولادتُه ونشأتُه:

الكرماني نسبة إلى كرمان، وهي بفتح الكاف وكسرها[٢]، فُتحتْ على يد عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس، وذلك في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه)[٣]، وهي ولايةٌ مشهورةٌ، وناحيةٌ كبيرةٌ معمورةٌ، ذاتُ بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، فشرقيُّها مكران ومفازة، وغربيُّها أرضُ فارس، وشماليّها مفازة خراسان، وجنوبيُّها بحرُ فارس، وهي بلادٌ واسعةُ الخيرات وافرةُ الغلات، كثيرةُ النخل والزرع والضرع والمواشي، تُشبَّهُ بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات[٤].

والكرماني شأنُهُ شأنُ كثير من العلماء الذين أهملت المصادرُ ذكر نشأتهم وولادتهم، وإنْ كان كثيرٌ منها أشار إلى أنه لم يُفَارق وَطنه وَلَا

==

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٢/٢٩١، الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ: ج. برجستراسر، والأعلام: ٧/١٦٩.

(٢) البلدان لليعقوبي: ص ١١٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي: ٤/٤٥٤، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفيّ الدين الحنبلي: ٣/١١٦٠، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣) البلدان لليعقوبي: ص ١١٥، وآكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لإسحاق بن الحسين المنجم: ص ٧٨، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي: ٤/٤٥٤، وآثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني: ٢٤٧، دار صادر– بيروت، ومراصد الاطلاع: ٣/١١٦٠.

رَحل[١]، مما يعني أن ولادته كانت بها، ونشأته ودراسته وتلقيه العلوم عن علمائها وحياته كلها كانت هناك.

كتبه[٢]:

كان الشيخ الكرماني رجلًا موسوعيًّا، فقد برع في كثير من العلوم، وكانت له فيها المؤلفات التي امتازت بالتنوع والجودة، مما جعله محلَّ ثناء العلماء في دقة الفهم، وحسن الاستنباط[٣]، ومن أهم هذه المؤلفات:

الإفادة في النحو[٤].

الإيجاز في النحو، وهو مختصر كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي[٥].

الْبُرْهَان فِي تَوْجِيه متشابه الْقُرْآن وَمَا فِيهِ من الْحجَّة وَالْبَيَان، يذكر فِيهِ الْآيَات المتشابهات الَّتِي وَقع تكرارها فِي الْقُرْآن الْعَظِيم وسببها وفائدتها وحكمتها وَذكر فِيهِ لب التفاسير[٦].

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/ ٢٦٨٦، وبغية الوعاة للسيوطي: ٢٧٧/٢، وطبقات المفسرين لشمس الدين الداوودي المالكي: ٣١٢/٢.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/ ٢٦٨٦، وغاية النهاية: ٢٩١/٢، والأعلام: ١٦٩/٧، وطبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنهوي: ص ١٤٩، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة: ٣١٠/٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة الدمشقي: ١٦١/١٢.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/ ٢٦٨٦.

(٤) وقد ذكره صاحب كشف الظنون، ٨١/١.

(٥) وقد ذكره صاحب كشف الظنون باسم: (مختصر الإيضاح) ينظر: كشف الظنون: ٢١١/١.

(٦) وقد ذكره صاحب كشف الظنون: ٢٤١/١.

خط المصاحف.

شرح اللمع في النحو لابن جني[١].

غرائب التفسير وعجائب التأويل، وهو محل الدراسة، وقد أشار إليه السيوطي في الإتقان، وبين أن اسمه "الْعَجَائِبُ وَالْغَرَائِبُ"[٢].

لباب التفاسير أو لباب التأويل، وعجائب التأويل[٣].

النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني.

الهداية في شرح غاية ابن مهران، وهو شرح لكتاب الغاية في القراءات العشر لابن مهران أحمد بن الحسين النيسابوري، إمام عصره في القراءات، المتوفى سنة ٣٨١هـ[٤].

شيوخه وتلاميذه:

أهم شيوخه:

١- والده حمزة بن نصر أبو محمود الكرماني، مقرئٌ متصدرٌ، قرأ بالعشر وغيرها، وقرأ عليه ابنه محمود، كما يقول ابن الجزري[٥].

٢- محمد بن حامد بن الحسن الخيَّام الطوسي، مقرئٌ متصدرٌ، روى القراءات عن عبيدالله بن محمد الطوسي، وعبدالله بن الحسين النيسابوري، وروى

(١) وقد ذكره صاحب كشف الظنون: ١٥٦٢/٢.
(٢) الإتقان: ٢٣١/٤، وينظر: الأعلام: ١٦٩/٧، وكشف الظنون: ٤٢٧/١.
(٣) وقد ذكره صاحب كشف الظنون: ١٥٤١/٢.
(٤) ينظر: معجم الأدباء لياقوت: ٢٣٣/١،
(٥) غاية النهاية: ٢٦٤/١، ٢٦٥.

القراءات عنه محمود بن حمزة الكرماني، كان مليحَ الكلام في الوعظ، وفاته سنة ٤٨٩هـ(١).

تلاميذه:

١- الزمخشري: محمود بن عمر بن أحمد أبو القاسم الزمخشري جار الله: الإمامُ الكبيرُ في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمامَ عصره غير مدافع، تُشَدُّ إليه الرحالُ، متفننًا في علوم شتى، معتزليّ المذهب مجاهرًا بذلك، وله من التصانيف: الكشاف في تفسير القرآن، والفائق في غريب الحديث، ومعجم أساس البلاغة، والمستقصى في الأمثال، وربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات، وغير ذلك كثير، كانت ولادته يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧هـ بزمخشر، وتوفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ، بجرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة، رحمه الله تعالى(٢)، وقد صرح السيوطي بتلمذته على يد الكرماني فقال: "فإنَّ من علوم القرآن العظيم مناسبةَ مطالع السور ومقاطعها، كما أوضحته في الإتقان وكتاب أسرار التنزيل، وقد صرَّح بذلك المحققون: كصاحب الكشاف وشيخه محمود بن حمزة الكرماني صاحب البرهان في متشابه القرآن(٣).

(١) غاية النهاية: ١١٤/٢، والمحمدون من الشعراء وأشعارهم لجمال الدين القفطي: ٢١٩، تح/ حسن معمري، وحمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٢) معجم الأدباء: ٢٦٨٧/٦ وما بعدها، ووفيات الأعيان: ١٦٨/٥.

(٣) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي: ص ٤٥، ٤٦، تح/ د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢- نصر بن علي بن محمد أبو عبدالله الشيرازي الفارسي الفسوي، يُعرفُ بابن أبي مريم النحوي: أستاذٌ عارفٌ، وهو خطيبُ شيراز وعالمُها وأديبُها والمرجوعُ إليه في الأمور الشرعية والمشكلات الأدبية، أخذ عن محمود بن حمزة الكرماني، وصنف تفسير القرآن وشرح الإيضاح للفارسي، والموضح الذي يدل على تمكنه في الفن، توفي بعد سنة ٥٦٥هـ(١).

٣- فخر الدين أبو المعالي نصر بن علي بن محمد، الشيرازي الفارسي، يعرف بالرويم المفسّر، فارسٌ في اللغة والنحو، وواحدُ شيراز في الإثبات والمحو، له تصانيفُ في تفسير القرآن وشرح الإيضاح، وكان يخطب في كل جمعة بخطبة من إنشائه لا يعيدها مرة أخرى، قرأ على تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، ومن تصانيفه كتاب «الموضح» في علم القراءات الثماني، وكتاب «الإفصاح في شرح الإيضاح»، وكتاب «المنتقى» في علل القراءات الشواذّ، وكانت وفاته بعد سنة ٥٧٢هـ، وقد ناهز السبعين(٢).

وفاته:

لم يذكرْ مترجموه سنة وفاته تحديدًا، بل يقولون: وَكَانَ فِي حُدُود الْخَمْسمِائَةِ، وَتُوفّي بعْدهَا(٣)، ولم ينص على سنة وفاته إلا صاحبُ الأعلام بقوله: توفي

(١) معجم الأدباء: ٦/ ٢٧٤٩، وينظر: غاية النهاية: ٣٣٧/٢، وبغية الوعاة للسيوطي: ٣١٤/٢، وطبقات المفسرين لشمس الدين المالكي: ٣٤٥/٢.

(٢) مجمع الآداب في معجم الألقاب لكمال الدين الفوطي الشيباني: ٢١٦/٣، تح/ محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

(٣) ينظر: غاية النهاية: ٢٩١/٢، وبغية الوعاة: ٢٧٧/٢، وطبقات المفسرين لشمس الدين المالكي: ٣١٢/٢، ومعجم المؤلفين لعمر رضا بن كحالة: ١٦١/١٢.

نحو ٥٠٥هـ/ نحو ١١١٠م[١]، فجزاه اللهُ (تعالى) خير الجزاء، وأجْزل له المثوبة والعطاء.

تعريف الغريب، ونشأته:

بالنَّظرِ في كتبِ الغريبِ، واستقراءِ المعاجمِ العربيةِ وأقوالِ العلماءِ فيها، يتضحُ أنَّ مادة (غ ر ب) تدورُ حول الخفاء والبعد والغموض، فالغُرْبة: الاغترابُ من الوطن، وغَرَبَ فلانٌ عنَّا يَغْرُب غَرْبًا: أي تَنَحَّي، والغَريبُ: الغامض من الكلام[٢]، ويُقالُ لكل متباعد: غريبٌ، ولكل شيءٍ فيما بين جنسه عديم النظير غريبٌ، والعلماءُ غرباءٌ لقلتهم فيما بين الجُهَّال، والغُرَاب سمي لكونه مُبْعِدًا في الذهاب، والغَرْب: الذهبُ لكونه غريبًا فيما بين الجواهر الأرضية[٣].

وتكلَّم فأغربَ إذا جاء بغرائب الكلام ونوادرِه، وتقول: فلانٌ يُعرب كلامه ويُغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة[٤].

---

(١) الأعلام: ١٦٩/٧.

(٢) العين للخليل بن أحمد (باب الغين والراء، والباء معهما): ٤١٠/٤، ٤١١، تح/ د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، وينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (غ ر ب): ١٩١/١، ١٩٢، تح/ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، ١٩٩٠م.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى: ٦٠٥، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري (غ ر ب): ٦٩٧/١، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

وأما في الاصطلاح فيشير الجرجاني إلى أنَّ الغرابة أن تكون الكلمةُ وحشيةً غيرَ ظاهرة المعني، ولا مأنوسة الاستعمال[١]، وزاد عليه التهانوي: "الغرابة: أن تكون الكلمةُ غيرَ ظاهرة المعني، ولا مأنوسةَ الاستعمال سواء كانتْ بالنظر إلى الأعراب الخُلَّص، أو بالنظر إلينا"[٢].

وهذه الزيادة من التهانوي تؤكِّدُ ما ذهب إليه الدكتور/ عبدالمنعم عبدالله محمد (رحمه الله تعالى) أنَّ الغريبَ ليس وصفًا قائمًا بذات اللفظ، وإنما هو أمرٌ نسبيٌّ يرتبطُ بالمقام وحال المخاطب، وكذلك بالزمان الذي قيل فيه.

ومما يؤكدُ ذلك تفاوتُ درجات الغريب بمقدار العناية بحفظه، حتى يبلغ أحيانًا أن لا يُعدَّ غريبًا إلا ما ذهب معناه وشاهدُهُ من العلم، كما يؤيدُ ذلك إمكانية شرح الغريب وتفسيره لدى الكثيرين، ولا سيما غريب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف[٣].

وجديرٌ بالذكر أن الغريب في ساحة الألفاظ القرآنية مصروفٌ إلى المعنى، وبعيدٌ تمام البعد عن الحُوشي والوحشي، وهو بذلك لا يخل بفصاحة الكلمة القرآنية، بل يعد من وجوه إعجازها حالة وقوف ذوي الفصاحة أمام معناها مشدوهين تارة، وباحثين في منظومهم ومنثورهم تارة أخرى[٤].

---

(١) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني: ص ١٦١، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: ٢/١٢٥٠، تح/ د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(٣) السجستاني لغويًّا في ضوء كتابه تفسير غريب القرآن د. عبدالمنعم عبدالله محمد: ص ٣٠، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) السجستاني لغويًّا: ص ٣١.

فاللفظةُ الغريبةُ في هذا المقام هي التي تكون حسنةً مستغربةً في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلُها وسائرُ الناس(١).

تاريخ التأليف في غريب القرآن:

لمْ يَجِدِ الصحابةُ في عهد رسول الله (ﷺ) صعوبةً في فهم القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف؛ لأنَّ القرآن نزل بلغتهم، وهم أدرى الناس به، فإذا ما التبس عليهم شيءٌ سألوا رسول الله (ﷺ) وهو بين ظهرانيْهم، فيوضحُ لهم المعنى المراد، ويزيح الغموض عن اللفظ بما يوضحه ويبينه(٢).

من ذلك ما رواه عَبْدُاللَّهِ بنُ مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]"(٣).

ويُعَدُّ التفسيرُ المنسوبُ إلى ابن عباس (رضي الله عنه) والذي شرح فيه كثيرًا من غريب القرآن، داعمًا إياه بمصادقه من كلام العرب، أقدمَ ما وصل إلينا

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي: ٤٩/٢، الناشر: دار الكتاب العربي، د ت.

(٢) دراسات في المعاجم الخاصة د. عبدالتواب الأكرت: ص ٢٩، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣) صحيح البخاري: ١٨/٩، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ، وصحيح مسلم: ١١٤/١، تح/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

في هذا الشأن، مما جعل العلماء يعتنون به، فيجمعه السيوطي ويطلق عليه مَسَائِل نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ[1].

ثم توالى التصنيفُ في غريب القرآن على مَرِّ العصور، حتى أَفْرَدَهُ بِالتَّصْنِيفِ خَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ -كما يقول السيوطي-[2]، منهم: أبانُ بن تغلب بن رباح أبو سعيد البكري (ت ١٤١هـ)، ومالكُ بن أنس (ت ١٧٩هـ)، وأبو فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٥هـ)، والنضرُ بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وأبو عبيدة معمرُ بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، وأبو عبيد القاسمُ بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وابنُ قتيبة (ت ٢٦٦هـ)، وابنُ دريد (ت ٣٢١هـ)، ومحمدُ بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، والراغبُ الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، وأبو حيان (ت ٧٤٥هـ)، وغيرهم[3].

ومن هؤلاء: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت ٥٠٥هـ)، وكتابه: غرائب التفسير وعجائب التأويل، وهو محل الدراسة.

ثانياً: كتاب (غرائب التفسير وعجائب التأويل) ومنهج الكرماني فيه:

(١) الإتقان: ١٠٥/٢.

(٢) الإتقان: ٣/٢.

(٣) المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد د. أحمد طه سلطان: ص ١٧، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ودراسات في المعاجم الخاصة د. عبدالتواب الأكرت: ص ٣٠.

يُعَدُّ كتابُ (غرائب التفسير) من الكتبِ الجليلةِ الشأنِ، العظيمةِ القدرِ، فهو –بحقٍّ– كتابٌ رائعٌ في عباراته، حافلٌ بجليل أبحاثه، متميزٌ بسلاسة المنطق، وحسن الفهم، فخرج أسلوبه سهلًا رصينًا واضحًا.

وقد كان الكرماني محبًّا للاختصار والإجمال، مبتعدًا عن الإملال، مما جعله يعتمدُ على العبارة الموجزة المؤدية إلى الغرض من أقصر طريق، وهو ما أشار إليه في مقدمة كتابه بقوله: "وأوجزتُ ألفاظهُ من غيرِ إطناب، فإن مُجتَنى كنوز العلم في اختياره، وحسنِ جَمْعهِ واختصارِهِ، ولم أشتغلْ بذكرِ الآيات الظاهرة، والوجوه المعروفة المتظاهرة، ولا بذكر الأسباب والنزولِ والقصص والفصولِ، فإني قد أودعتُ جميعُ ذلك في كتابي الموسوم بـ "لباب التفاسير"، من غير إفراطٍ مني فيه ولا تقصير، مستعينًا بالله ومعتمدًا عليه، إنه ولي الإعانة والتوفيق"[١].

فخرج –بذلك– (غرائب التفسير) كتابًا مختصرًا من ناحية، موسوعيًّا من ناحية أخرى، فهو يجمع بين القراءات والإعراب واللغة والتفسير، كما قام صاحبُه بتحليل ألفاظ القرآن الكريم تحليلًا دقيقًا، معتمدًا في ذلك على أقوال الأئمة السابقين، مع عناية خاصة باللغات المتعددة للقبائل العربية، ببيان فصيحها من رديئها، ومشهورها من غريبها، فلا عجبَ –إذن– أن تكثر مصادرُه في القراءات واللغة والنحو والتفسير وغيرها، والتي كان الكرماني أمينًا تجاهها غاية الأمانة، حيث يردُّ كلَّ رأي إلى صاحبه، ويعزو كلَّ قول إلي قائله بكل دقة وأمانة.

---

(١) غرائب التفاسير للكرماني: ٨٨/١.

ومن أشهر هذه المصادر: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، والحجة لأبي علي الفارسي، والغاية في القراءات العشر لابن مهران، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومشكل إعراب القرآن لابن قتيبة وغيرها(١).

وقد بنى الكرماني كتابه على أسس قويمة، فإنه لمْ يترك رأيًا تفسيريًّا دون أن يُسنده إلى الصحابة أو التابعين أو غيرهم، وكذلك فعل مع الآراء النحوية واللغوية، وكثير من القراءات الشاذة، حتى حينما كان يُبهمُ أحيانًا فيقول: قيل كذا، لا يخلو من سند أيضًا.

وهذا يردُّ على حاجي خليفة اتهامه للشيخ الكرماني بأنه يتكلَّمُ في القرآن بلا سندٍ ولا نقلٍ عن السلف، ولا رعاية للأصول الشرعية، والقواعد العربية(٢)، فقد نقل الشيخ (رحمه الله تعالى) عن مفسري الصحابة على سبيل المثال: كابن عباس في أكثر من مائتي موضعٍ، في القراءات واللغة والتفسير والأشعار والقصص، كما نقل عن كبار الصحابة كعبدالله بن مسعود، والسيدة عائشة، والسيدة أم سلمة، وعبدالله بن عمر، وأُبيّ بن كعب (رضي الله تعالى عنهم أجمعين)، وكذلك عن كبار التابعين: كالحسن البصري قرابة الـ ١٣٠ موضعًا، وسعيد بن جبير، والسُّدِّيّ، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد وغيرهم.

(١) مقدمة غرائب التفاسير: ص ٧.

(٢) كشف الظنون: ١/٤٢٧.

كما نقل عن كبار المفسرين المتقدمين: كالفراء، والزجاج، وابن جرير الطبري، والكلبي، والثعلبي، وأبي الليث السمرقندي، والماوردي، وأبي جعفر النحاس، وغيرهم(١).

وهاك الألفاظ التي وصفها الكرماني بالغرابة، مع معالجتها في المبحث المناسب لدراستها:

(١) مقدمة غرائب التفاسير للكرماني: ص ٧.

المبحث الأول: ما خالف السياق.

١- قال الكرماني: "آمين: المعروفُ فيه المدُّ والقصرُ، والغريبُ: ما أجازه بعضُهم من التشديدِ بمعنى: قاصدين، وتقديرُهُ: ندعُوك قاصدينَ بابَك، راجينَ رحمتَك، وقيلَ: نعبدُكُ ونستعينُك قاصدين، وفيه بعدٌ وخلافُ الجمهور -والله أعلم-"(١).

أشار الإمامُ الكرماني في هذا النصّ إلى أنَّ لفظة (آمين) معروفٌ فيها المدُّ والقصرُ، وبيَّن أنَّ من غرائب التفسير أن بعضهم يُجيز التشديد فيها على أنَّ المعنى: قاصدين، ويكون التقدير: ندعوك قاصدين بابك، راجين رحمتك، واستبعده مبينًا أنه خلافُ الجمهور.

و(آمين): صوتٌ سُمِّيَ به الفعلُ ومعناه: استجبْ، وإليه ذهب الأخفش(٢)، كما أنَّ «رُويد، وحَيِّهَلْ، وهَلُمَّ» أصواتٌ سُمِّيتْ بها الأفعالُ التي هي «أمهلْ، وأسرعْ، وأقبلْ» كما ذكر الزمخشري(٣)، وقَالَ ثعلب: وحقُّه مِنَ الإعراب الوقفُ؛ لأَنه بِمَنْزِلَةِ الأَصْواتِ إِذَا كَانَ غيرَ مُشْتَقٍّ مِنْ فعلٍ، إِلَّا أَن النُّونَ فُتِحت فِيهِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَلَمْ تُكسر النونُ لِثِقَلِ الْكَسْرَةِ بَعْدَ الْيَاءِ، كَمَا فَتَحُوا أَينَ وكيفَ، وَهُوَ مبنيٌّ عَلَى الْفَتْحِ مِثْلَ أَينَ وَكَيْفَ لِاجْتِمَاعِ

(١) غرائب التفسير للكرماني: ١/١٠٥.

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني: ١/٦٩، تح/ د. محمد عبدالعزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري: ١/١٧، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

السَّاكِنَيْنِ[١]، وكأنَّ الفتح مع الياء أخف من سائر الحركات، كما يقول ابن عطية[٢].

وجديرٌ بالذكر بيان معنى اللفظة قبل الشروع في طريقة نطقها، فللعُلماءِ في معناها مذاهبُ شتَّى:

الأول: معنى آمين: كذلك فليكُنْ، أو كذلكَ فافْعَلْ، قاله ابنُ عباس والحسنُ الْبَصْرِيُّ[٣].

(١) لسان العرب لابن منظور (أ م ن): ٢٦/١٣، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥٤/١، تح/ عبدالجليل شلبي، عالم الكتب– بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري: ٦٧، تح/ مسعد عبدالحميد السعدني، دار الطلائع، عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: ٤٧/٦، تح/ عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ٨٠/١، تح/ عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٦٦، تح/ د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، وتفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن): ٧٧/١، تح/ عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٧٢/١، تح/ طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، والمصباح المنير للفيومي (أ م ن): ٢٤/١، المكتبة العلمية، بيروت، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (أ م ن): ص ١١٧٦، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

والثاني: أنَّ (آمين) اسمٌ من أسماء الله (ﷻ)، ذهب إلى ذلك مجاهدٌ والْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ(١)، ووافقهما الخليلُ(٢)، والبندنيجي(٣)، ووضَّحه ابنُ قتيبة بقوله: كأنَّ المصلي قال: يا الله، وأضمر استجبْ لي؛ لأنه لا يجوزُ أن يظهر بهذا في هذا الموضع من الصلاة إذا كان كلامًا ثم تحذف يا النداء، وأصلها: يا أمين بمعنى الله، ثم تحذفُ همزة آمين استخفافًا لكثرة ما تجري هذه الكلمة على ألسنة الناس ويخرجونها مخرج من يقول: أَزَيْدُ يريد: يا زيدُ، وأَراكبُ يريدُ: يا راكبُ(٤).

(١) ينظر: الزاهر لابن الأنباري: ٦٦، وتهذيب اللغة للأزهري (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، تح/ عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب، ١١٥/١، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، والمحرر الوجيز: ٧٩/١، والمطلع على أبواب المقنع للبعلي الحنبلي: ٩٣، صنع/ محمد بشير الإدلبي، المكتب الإسلامي ، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، واللسان (أ م ن): ٢٧/١٣، والمصباح (أ م ن): ٢٤/١، والقاموس المحيط (أ م ن): ١١٧٦.

(٢) العين (باب النون والميم والهمزة معهما): ٣٨٩/٨.

(٣) التقفية في اللغة للبندنيجي: ٦٥٨، تح/ د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية– وزارة الأوقاف– إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني– بغداد، ١٩٧٦م.

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ص ١٢، تح/ أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، والتقفية: ٦٥٨، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض: ٣٨/١، المكتبة العتيقة ودار التراث، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٤٢٦/١، تح/ علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن، الرياض.

وردَّه الأزهري قائلًا: وَلَيْسَ يَصِحُّ -كَمَا قَالَهُ أَهلُ اللُّغَةِ- أَنه بِمَنْزِلَةِ (يَا اللَّهُ) وأَضمر (اسْتَجِبْ لِي)؛ لأنه لو كَانَ كَمَا قَالَ لرُفِعَ إِذَا أُجْرِي فيقال: آمينُ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْصُوبًا(١).

كما ضَعَّفَه أبو البقاء بوجهين:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ (ﷻ) لَا تُعْرَفُ إِلَّا تَلَقِّيًا، وَلَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ سَمْعٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبُنِيَ عَلَى الضَّمِّ؛ لِأَنَّهُ مُنَادَى مَعْرِفَةٌ أَوْ مَقْصُودٌ(٢).

ووجَّه الفارسي قولَ مَنْ جعله اسمًا لله (تعالى) على معنى أنَّ فيه ضميرًا يعودُ على اللهِ (تعالى)؛ لأنه اسمُ فعلٍ، وهو توجيهٌ حسنٌ(٣).

والثالث: منسوب للْحسن البصري، وَكَانَ إِذا سُئل عَن تَفْسِير (آمين) قَالَ: اللَّهُمَّ اسْتَجبْ(١)، أو: اسمعْ واستجبْ، كما قال ابنُ درستويه(٢)، ونقل ابنُ

(١) ينظر: التهذيب (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، والتكملة والذيل والصلة للصاغاني (أ م ن): ١٨٧/٦، تح/ مجموعة من العلماء، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤م، واللسان (أ م ن): ٢٧/١٣، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (أ م ن): ١٩٠/٣٤، تح/ عبدالكريم العزباوي وآخرين ، سلسلة التراث العربي من إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ١١/١، تح/ علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: ٧٧/١، تح/ د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهرري: ٨٤/١، تح/ د. هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) الدر المصون: ٧٧/١، وحدائق الروح والريحان: ٨٤/١.

منظور عن أبي علي الْفَارِسِيّ قال: هِيَ جملةٌ مركَّبة مِنْ فعلٍ وَاسْمٍ، مَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِي، قَالَ: ودليلُ ذَلِكَ أَن مُوسَى (عليه السلام) لَمَّا دَعَا عَلَى فِرْعَوْنَ وأَتباعه فَقَالَ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]، قَالَ هَارُونُ (عليه السلام): آمِينَ، فطبَّق الْجُمْلَةَ بِالْجُمْلَةِ[٣].

والرابع: قاله ابنُ درستويه، أنَّ (آمين) معناها: اللهم افعلْ ذلك[٤].

والخامس: ما ورد فِي حَدِيثِ أَبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه): أَن النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: "آمِينَ خاتَمُ ربِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ"[٥]، قَالَ أَبو بَكْرٍ بنُ الأنباري: مَعْنَاهُ أَنه طابَعُ اللَّهِ عَلَى عبادِه لأَنه يَدْفعُ بِهِ عَنْهُمُ الْآفَاتِ والبَلايا، فَكَانَ كخاتَم

==

(١) الأضداد لابن الأنباري: ٦٣، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وتصحيح الفصيح: ص ٤٦٦، تح/ د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، والتهذيب (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، والغريبين لأبي عبيد الهروي ١١٠/١، تح/ أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز– السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، والنهاية: ٧٢/١، والمطلع للحنبلي: ص ٩٣، والمصباح (أ م ن): ٢٤/١.

(٢) تصحيح الفصيح: ص ٤٦٧.

(٣) اللسان (أ م ن): ٢٦/١٣، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: ٤٩٤/١٠، تح/ د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، والتاج (أ م ن): ١٩٠/٣٤، ١٩١.

(٤) تصحيح الفصيح: ص ٤٦٧.

(٥) الحديث في كتاب الدعاء للطبراني: ص ٨٩، تح/ مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

الْكِتَابِ الَّذِي يَصُونه وَيَمْنَعُ مِنْ فسادِه وإظهارِ مَا فِيهِ لِمَنْ يُكْرَهُ عِلْمُهُ بِهِ ووُقوفَه عَلَى مَا فِيهِ(١).

والسادس: ما ورد عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ (ﷺ) أَنه قَالَ: آمينَ درجةٌ فِي الجنَّة؛ قَالَ أَبو بَكْرٍ بنُ الأنباري: مَعْنَاهُ أَنها كلمةٌ يكتَسِبُ بِهَا قائلُها دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ(٢).

والسابع: أنَّ آمِينَ بَعْد الفاتِحَةِ دُعاءٌ مُجْمَلٌ مُشْتملٌ على جَمِيعِ مَا دُعي بِهِ فِي الفاتِحَةِ مفصَّلًا، فكأَنَّه دعا مَرَّتَيْن، نقله الزبيدي عن بعض شيوخه، ووصفه الزبيدي بالغرابة(٣)، ولكن أكده أبو بكر الورّاق بقوله: (آمين) قوةٌ للدعاء واستنزالٌ للرحمة(٤).

والثامن: أنَّ آمين كلمةٌ ليستْ عربيةً وإنما هي عبرانيةٌ معربةٌ، مبنيةٌ على الفتح للياء التي قبل نونها(٥)، وحكى أبو الحسن الأخفشُ: أنه اسمٌ أعجميٌّ

(١) التهذيب (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، والغريبين لأبي عبيد الهروي: ١١٠/١، ومشارق الأنوار: ٣٨/١، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): ١٢٨/١، تح/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، والنهاية: ٧٢/١، واللسان (أ م ن): ٢٧/١٣.

(٢) ينظر: مشارق الأنوار: ٣٨/١، والنهاية: ٧٢/١، وتفسير القرطبي: ١٢٨/١، واللسان (أ م ن): ٢٧/١٣.

(٣) التاج (أ م ن): ١٩١/٣٤.

(٤) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) لأبي إسحاق الثعلبي: ١٢٤/١، تح/ الشيخ الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٥) تصحيح الفصيح: ص ٤٦٧.

بمنزلة قابيل وهابيل، فإن سُمِّي به لم ينصرفْ للتعريف والعجمة(١)، وقال القاري: هُوَ تعريب همين(٢)، أو سريانية ثمّ تكلمت بها العربُ فصار لغة لها(٣).

وردَّه الآلوسي بقوله: والصحيحُ أنها كلمةٌ عربيةٌ، قال: ومن الغريب ما قيل: إنه عجمي مُعرَّب همين؛ لِمَا أنَّ فاعيل كقابيل ليس من أوزان العرب، ورُدَّ بأنه يكون وزنًا لا نظير له وله نظائر، ولذا قيل: إنه في الأصل مقصورٌ، ووزنه فعيل فأشبع(٤).

والتاسع: يرى بعضُ علماء الآثار المصرية في العصر الحاضر أن كلمة (آمين) معناها الله، فكأنها ذكرت في آخر الفاتحة للختم باسمه تعالى إشارة إلى أن المرجع كله إليه.

ويرى الثقاتُ من علماء اللغات السامية رأيهم، ويقولون: إنها ذكرت آخر الفاتحة للترنم بها بعد قراءة السورة التي تضمنت الإشارة إلى أغراض الكتاب الكريم، ويؤيدون رأيهم بأن المزامير خُتمت بكلمة (سلاه) للترنم بها على هذا

---

(١) شرح الفصيح لابن هشام: ص ٢٤٦، تح/ د. مهدي عبيد جاسم، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) عمدة القاري: ٤٧/٦.

(٣) تفسير الثعلبي: ١٢٤/١، وبحر العلوم للسمرقندي: ١٩/١، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٢٦٢/٢، تح/ علي الشبل، دار السلام الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤) تفسير الآلوسي: ١٠٠/١.

النحو -ويكون المعنى العام- إنا نتوجه إليك يا إلهنا فإليك المرجع والمصير[١].

العاشر: آمين كنزٌ من كنوز العرش لا يعلمُ تأويله أحدٌ إلّا اللهُ (ﷻ)، قاله عبدُالرّحمن بنُ زيد[٢].

وبالاطِّلاع على كتب اللغة والمعاجم وغيرها من أقوال العلماء يظهر لنا شبهُ اتفاق على أنَّ في الكلمة المدَّ والقصرَ:

فـ (أَمِين) مقصورة الألف مخففة الميم عَلَى وَزْنِ يَمِينَ لُغَةُ الْحِجَازِ[٣]، و(آمِين) مطولة الألف مخففة الميم عَلَى وَزْنِ فَاعِيلَ كَيَاسِينَ، لغة بني عامر[٤]، فيما اقتصر على كونهما لغتين دون نسبة جمهرة من اللغويين[٥]،

---

(١) تفسير المراغي: ٣٨/١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٢) تفسير الثعلبي: ١٢٤/١.

(٣) المصباح (أ م ن): ٢٤/١، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ص ٦٣، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، والتاج (أ م ن): ١٨٩/٣٤.

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت: ص ١٣٥، تح/ محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، والدلائل في غريب الحديث للسرقسطي: ٢١٠/١، تح/ د. محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥٤/١، والزاهر لابن الأنباري: ٦٦، والتهذيب (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، ومعاني القراءات: ١١٨/١، والغريبين لأبي عبيد الهروي: ١١٠/١، وتفسير الثعلبي: ١٢٥/١، وتفسير السمعاني: ٣٩/١، تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، والكشاف: ١٧/١، والهداية: ١١٥/١، وتفسير القرطبي: ١٢٨/١، وتفسير النسفي: ٣٣/١، تح/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ==

ووصفهما البعلي بالمشهورتين[1].

أما دليل لغة القصر فقول الشاعر:

تَبَاعَدَ عني فُطْحُلٌ وابنُ مالكٍ أمِينَ فزادَ اللهُ ما بيننا بُعْدَا[2]

وقول الآخر:

أمِينَ ومَنْ أعطاكَ مني هَوَادَةً رَمَى اللهُ في أطرافِهِ فانْفَعَلَّتِ[3]

أما لغة المد فشاهدها:

يا ربِّ لا تسلُبنَّي حُبَّها أبدًا ويرحمُ اللهُ عبدًا قال: آمِينا[4]

==

١٩٩٨م، واللسان (أ م ن): ٢٦/١٣، وبحر العلوم للسمرقندي: ١٩/١، والدر المصون: ٧٧/١.

(١) المطلع على ألفاظ المقنع للبعلي الحنبلي: ص ٩٣.

(٢) البيت من الطويل، وقد جاء شاهدًا على لغة القصر في: غريب القرآن لابن قتيبة: ١٣، وإصلاح المنطق: ١٣٥، والتهذيب (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، والصحاح (أ م ن): ٢٠٧٢/٥، والدلائل في غريب الحديث للسرقسطي: ٢١٠/١، وتصحيح الفصيح: ٤٦٦، وزاد المسير: ٢٢/١، وتفسير القرطبي: ١٢٨/١، والتاج (أ م ن): ١٨٩/٣٤.

(٣) البيت من الطويل، وقد جاء شاهدًا على لغة القصر في: الزاهر لابن الأنباري: ٦٦، بلا نسبة، واقْفَعَلَّ واقْلَعَفَّ: تَقَبَّضَتْ أنامِلُه من بَرْدٍ أَو دَاءٍ، ينظر: المخصص لابن سيده: ١٥٠/١، تح/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) البيت من البسيط، وقد جاء شاهدًا على لغة المد بلا نسبة في: إصلاح المنطق: ١٣٥، والتهذيب (كتاب الهمزة باب النون والميم): ٣٦٧/١٥، والصحاح (أ م ن):

==

ويرى ابنُ قتيبة وغيره أنَّ الأصلَ في آمين القَصْر، وإنَّما مُدَّ لترفيع الصوت بالدُّعاء كما قالوا: آوَّه، والأصل: أوَّه(١)، وهو عند ابن العربيّ أَفْصَحُ وَأَخْصَرُ، وَعَلَيْه مِنْ الْخَلْقِ الْأَكْثَرُ(٢).

وتبعهما الراغبُ الأصفهانيُّ مؤكدًا على أنَّ الْقَصْرَ هُوَ الْأَصْلُ، وعلته: أنَّ الْمَدَّ لَيْسَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ هُوَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ كَهَابِيلَ وَقَابِيلَ، وَالْوَجْهُ فِيهِ: أَنْ تَكُونَ فَتْحَةُ الْهَمْزَةِ أُشْبِعَتْ فَنَشَأَتِ الْأَلِفُ، فَعَلَى هَذَا لَا تَخْرُجُ عَنِ الْأَبْنِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ(٣).

فيما خالفهم ابنُ درستويه مؤكِّدًا على أنَّ (أمين) بقصر الهمزة ليس معروفًا في الاستعمال، وأنَّ قَصْره في الشعر ضرورة، قال: وللشاعر أن يَقصُرَ الممدودَ في الشعر خاصةً إذا اضطر إلى تقويم وزن أو قافية، وليس للمتكلم في غير الشعر ذلك، وأكد كلامه بأنَّ ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه

==

٢٠٧٢/٥، والدلائل في غريب الحديث للسرقسطي: ٢١٠/١، وتصحيح الفصيح: ٤٦٦، وزاد المسير: ٢٢/١، وتفسير القرطبي: ١٢٨/١، والتاج (أ م ن): ١٨٩/٣٤.

(١) غريب القرآن لابن قتيبة: ص ١٣، والإبانة في اللغة العربية لأبي المنذر العوتبي: ١٥٨/٢، تح/ د. عبدالكريم خليفة، وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ٥٩/١، المكتبة التجارية الكبرى– مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: ١٢/١، تح/ محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ١١/١.

قال: إذا قال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فقولوا: "آمين"(١) لم يروه واحدٌ منهم بالقصر، ولكن ممدودًا، وهو الأصلُ الصحيح(٢)، وتبعه ابن الأثير مؤكدًا على أن المدَّ أَكثرُ(٣)، وقال النووي: وَالْمَدُّ أشهر وأَفْصَحُ(٤)، وقال القاري: الْمَعْرُوف فِيهِ الْمَدّ(٥)، وردَّه الفيومي بحجة أن الْمَدَّ إشْبَاعٌ في الكلمة وليس أصليًّا، بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَلِمَةٌ عَلَى فَاعِيلٍ(٦)، والحقُّ: أنَّ دليلَه مختلفٌ فيه بين أهل اللغة: فجمهورُ اللغويين يوافقُ ما ذهب إليه من أنَّه ليسَ في الكلام (فاعيلٌ)، قاله: سيبويه(٧)، والمبرد(٨)، وابنُ جني(٩)، وغيرُهم(١٠).

---

(١) الحديث في صحيح البخاري: ١٥٦/١، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: "إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".

(٢) تصحيح الفصيح: ص ٤٦٦، وفيض القدير: ٥٩/١.

(٣) النهاية: ٧٢/١، واللسان (أ م ن): ٢٦/١٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢٠/٤، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، تحرير ألفاظ التنبيه للنووي: ٦٥، تح/ عبد الغني الدقر، دار القلم دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٥) عمدة القاري: ٤٧/٦.

(٦) المصباح (أ م ن): ٢٤/١، وتفسير النسفي: ٣٣/١، والتوقيف للمناوي: ص ٦٣، والتاج (أ م ن): ١٨٩/٣٤.

(٧) الكتاب: ٢٤٩/٤.

(٨) المقتضب للمبرد: ٣٥٦/٣، تح /محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب– بيروت.

(٩) الخصائص: ١٢١/٣.

(١٠) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي: ٢٥/٤، تح/ أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، والبحر المحيط: ٢٣/٩.

بينما خالفهم ابنُ القطاع، حينما أورد من أبنية المضاعف من الثنائي: (فَاعيل) نحو ياليل، اسم رجل[١]، وتبعه الحميري[٢].

الغريب وموقف العلماء منه:

وحكى الكرماني ما أجازه بعضُهم من التشديدِ في الكلمة على أن معناها: قاصدين، وتقديرُهُ: ندعُوك قاصدينَ بابَك، راجينَ رحمتَك، أو: نعبدُكُ ونستعينُك قاصدين، ووصفه بالغريبِ ثم قال: وفيه بعدٌ وخلافُ الجمهور.

وهو بذلك موافقٌ لابن السكيت فقد منعه قائلًا: ولا تقل: آمِّين بتشديد الميم[٣]، وخطَّأه ثعلب[٤]، وابن الأنباري[٥]، والجوهري[٦]، والآلوسي[٧]، وأكَّد وأكَّد ابنُ درستويه على أنه من نطق العامة[٨]، وتبعه ابن منظور[١]،

(١) أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القَطَّاع: ص ١٢٦، تح/ د. أحمد محمد عبدالدايم، دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة، ١٩٩٩م.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميرى: ٣٣٠٠/٥، تح/ د. حسين بن عبدالله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر (بيروت– لبنان)، دار الفكر (دمشق– سورية)، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٣) إصلاح المنطق: ١٣٥، وعمدة القاري: ٤٧/٦.

(٤) المطلع للحنبلي: ص ٩٤.

(٥) إصلاح المنطق: ص ١٣٥.

(٦) الصحاح (أ م ن): ٢٠٧٢/٥، والدر المصون: ٧٧/١، وطرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي: ٢٦٥/٢، تح/ حمدي الدمرداش محمد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، وفتح القدير: ٣٠/١.

(٧) تفسير الألوسي: ١٠٠/١.

(٨) تصحيح الفصيح: ص ٤٦٦، وشرح الفصيح لابن هشام: ص ٢٤٥، وفيض القدير: القدير: ٥٩/١.

والعوتبي مع وصفه باللحن[٢]، وأكَّد النووي على أن الْجُمْهُور لا يجوّزُ تَشْدِيد الْمِيم، ووصف من أجازه بأنه غريب ضعيف[٣].

وأكد الأزهري على تركه مبينًا أنَّ الميم مخففة في اللغتين[٤]، وحكى ابنُ هشام اللخمي أنها لغة شاذة[٥]، ووصفها العراقي بالضعف[٦]، وتبعه الزبيدي قائلًا: وأَنْكَرَها غيرُ واحِدٍ مِن أَئمَةِ اللُّغَةِ[٧]، ولم يعتد أبو علي القاري إلا بلغة المد وعدَّ ما سواها شذوذًا، مع وصف التَّشْدِيد بأنه خطأ فَاحش[٨].

فيما أجازها ابن الهائم[٩]، وصاحب القاموس[١٠].

تعقيب:

وسياق الكلام يستبعد أن يكون اللفظُ بمعنى قاصدين نحوك أو هذا، فلا ترابط بينه وبين ما قبله من الدعاء (اهدنا الصراط)، ولكن السياق يؤكد على أنه بمعنى استجب، وبعد أن نقل الفيومي عن بَعْض أَهْلِ الْعِلْمِ أن التَّشْدِيد لُغَةٌ، ردَّه بقوله: وَهُوَ وَهَمٌ قَدِيمٌ؛ إذ الْمَعْنَى غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ عَلَى التَّشْدِيدِ؛

==

(١) اللسان (أ م ن): ٢٦/١٣

(٢) الإبانة للعوتبي: ١٥٨/٢، وتفسير الألوسي: ١٠٠/١، وفيض القدير: ٥٩/١.

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه للنووي: ص ٦٥.

(٤) الزاهر للأزهري: ٦٧، والمخصص: ٢٥٩/٤،

(٥) شرح الفصيح لابن هشام: ص ٢٤٥.

(٦) طرح التثريب: ٢٦٥/٢.

(٧) مشارق الأنوار: ٣٨/١، والتاج (أ م ن): ١٨٩/٣٤.

(٨) عمدة القاري: ٤٧/٦.

(٩) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم: ص ٤٦.

(١٠) القاموس المحيط (أ م ن): ١١٧٦.

لِأَنَّ التَّقْدِيرَ وَلَا الضَّالِّينَ قَاصِدِينَ إِلَيْك وَهَذَا لَا يَرْتَبِطُ بِمَا قَبْلَهُ[١]، وقال البعلي البعلي الحنبلي: ولا يجوز التشديد؛ لأنه يخل بمعناه فيجعله: بمعنى قاصدين، كما قال تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢][٢]؛ لأنه يصير مِنْ أَمَّ إِذَا قَصَدَ، أَيْ: نحن قاصدون نحوك[٣].

٢-من قول الله (ﷻ): ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾: سهامهم.

الغريب: عصِيّهم.

العجيب: أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة بها، وكانت من الحديد"[٤].

نصَّ الكرماني على أن الأقلام بمعنى السهام، وهو ما رآه جمهرةُ المفسرين واللغويين:

فذهب الخليلُ إلى أن المراد بالأقلام سهامهم حيث تساهموا أيهم يكفل مريم[٥]، والمقصود بالسهام ههنا القِدَاحُ، وقد جَعَلوا عليها علامات يعرفون

(١) المصباح المنير (أ م ن): ٢٤/١، والتوقيف للمناوي: ص ٦٣، والتاج (أ م ن): ١٨٩/٣٤.

(٢) المطلع للبعلي الحنبلي: ص ٩٤، وينظر: فتح الباري: ٢٦٢/٢.

(٣) تفسير القرطبي: ١٢٨/١، ١٢٩، والدر المصون: ٧٧/١، وتفسير ابن كثير: ١٤٤/١، تح/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وفتح القدير: ٣٠/١.

(٤) غرائب التفسير للكرماني: ٢٥٥/١.

(٥) العين (باب القاف واللام، والميم معهما): ١٧٤/٥، وتفسير القرآن لابن المنذر: ١٩٩/١، تح/ د، سعد بن محمد السعد، دار المآثر- المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

بها أيهم يكفل مريم على جهة القرعة[١]، وَهُوَ شَبِيهٌ بِأَمْرِ الْقِدَاحِ الَّتِي تَتَقَاسَمُ بِهَا الْعَرَبُ لَحْمَ الْجَزُور[٢]، وعلة تسمية السهام أو القداح بالأقلام أنها تُشْبِهُهُا في الاسْتِطَالَةِ، ودقة الرأس[٣]، يقولُ الزجاجُ: وإنما قيل للسهم القلم لأنه يُقْلَمُ أيْ يُبْرَى، وكلُّ ما قطعتَ منه شيئًا بعد شيء فقد قَلَمْتَه، من ذلك القَلَمُ الذي يُكتب به، إنما سُمِّيَ لأنه قُلِّم مرة بعد مرة، ومن هذا قَلَّمتُ أظافري[٤]، فـ "الْقَافُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَسْوِيَةِ شَيْءٍ عِنْدَ بَرْيِهِ وَإِصْلَاحِهِ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ سُمِّيَ الْقَلَمُ قَلَمًا قَالُوا: سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يُقْلَمُ مِنْهُ كَمَا يُقْلَمُ مِنَ الظُّفُرِ، ثُمَّ شُبِّهَ الْقِدْحُ بِهِ فَقِيلَ: قَلَمٌ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْقِدْحُ سُمِّي قَلَمًا لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَسْوِيَتِهِ وَبَرْيِهِ[٥].

وأكد أبو عبيدة على أنها القداح[٦]، وتبعه ابن قتيبة[٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٠/١، ٤١١.

(٢) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب= التفسير الكبير): ٢٢٠/٨، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٣) تفسير غريب القرآن تأليف: كاملة الكواري: ٤٤/٣، دار بن حزم، ط١، ٢٠٠٨م.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١٠/١، والغريبين للهروي: ١٥٨٠/٥، والتفسير البسيط للنيسابوري: ٢٥١/٥، تح/ لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، وتفسير الفخر الرازي: ٢٢٠/٨، واللسان (ق ل م): ٤٩٠/١٢.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (ق ل م): ١٥/٥، ١٦، تح/ عبدالسلام هارون، دار الفكر الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٩٣، تح/ محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى– القاهرة، ١٣٨١هـ.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة: ١٠٥، وزاد المسير: ٢٨٢/١، وتفسير الفخر الرازي: ٢١٩/٨.

واستبعد النحَّاسُ ذلك قائلًا: فأمَّا أن تكون الأقلامُ القداحَ فبعيدٌ؛ لأن هذه هي الأزلام التي نهى الله (ﷻ) عنها، إلَّا أنه يجوز أن يكونوا فعلوا ذلك على غير الجهة التي كانت الجاهلية تفعلها(١)، ولذا قال: وأجود من هذا القول: أنها أقلامهم التي يكتبون بها الوحي، جمعوها فرموا بها في نهر لينظروا أيّها يستقبل جري الماء فيكون صاحبه الذي يكفل مريم، أي: يضمن القيام بأمرها(٢).

وهو ما حكاه الطبري بقوله: وأما "أقلامهم"، فسهامهم التي استهم بها المتسهمون من بني إسرائيل على كفالة مريم(٣)، وتبعه الثعلبي(٤)، وابن سيده(٥)، والنسفي(٦)، وابن منظور(٧)، والسمين الحلبي(٨).

القول الثاني: ومال بعضُ العلماء إلى أن المراد أقلامهم الَّتِي كانوا يكتبون بِهَا الوحي، وهو ما حكاه الخليل قال: ويقال: بل هي أقلامُهم التي كانوا

(١) إعراب القرآن للنحاس: ١٥٧/١، تح/ عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، وتفسير القرطبي: ٨٦/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس: ١٥٧/١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٧/٦، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤) تفسير الثعلبي: ٦٧/٣.

(٥) المحكم (ق ل م): ٤٣٨/٦.

(٦) تفسير النسفي: ٢٥٥/١.

(٧) اللسان (ق ل م): ٤٩٠/١٢.

(٨) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ٣٣٦/٣، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

يكتبون بها التوراة[١]، وأكده ابن المنذر[٢]، وتبعه ابن أبي حاتم[٣]، والسجستاني[٤]، ومكي[٥].

تعقيب:

وربما يرجعُ إجماعُ العلماء على هذا الرأي لأنَّ بركة القلم نابعة ممَّا يُكتبُ به، ولا شك أن كتابة الوحي المنزل من الله (ﷻ) وهو التوراة أكسب الأقلام بركة ليست في غيرها، لا سيما وكان من شرطهم أنَّ من صعد قلمُهُ عاليًا مع الحِريْة، فهو أحقُّ بها، ومن سفل قلمُه مع الحِريْة فهو المقروع، فصعد قلمُ زكريا، وتسفَّلتْ أقلامُهم؛ فعند ذلك ضمها زكريَّا (عليه السلام) إلى نفسه[٦]، ولا شك أن في جميع الأقلام بركة إذ يكتب بها الوحي، ولكن أعظمها بركة هو قلم زكريا (عليه السلام)، فإنَّ البركة فيه مضاعفة لبركة صاحبه، إذ اجتمع مع بركة القلم بركةُ الكاتب به، وَكَانَ الْقِرَاعُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ جَرَى قَلَمُهُ عَلَى عَكْسِ جَرْيِ الْمَاءِ فَالْحَقُّ مَعَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ صَارَ قَلَمُ زَكَرِيَّا (عليه السلام) كَذَلِكَ فَسَلَّمُوا الْأَمْرَ لَهُ وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ[٧]، فكأنَّ قلم زكريا (عليه السلام) سار عكس

(١) العين (باب القاف واللام، والميم معهما): ١٧٤/٥، وتفسير ابن المنذر: ١٩٩/١.

(٢) تفسير ابن المنذر: ١٩٩/١.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦٣٩/٢، تح/ أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٤) غريب القرآن للسجستاني: ٥٢، تح/ محمد أديب جمران، دار قتيبة- سوريا، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٥) الهداية: ١٠١٢/٢.

(٦) تفسير الماتريدي: ٣٦٩/٢، تح/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م.

(٧) تفسير الفخر الرازي: ٢١٩/٨، وعمدة القاري: ٢٣/١٦.

التيار فهو يحتاج إلى قوة خاصة تساعده على ذلك، وإنما تأتيها هذه القوة من بركة ما تكتب، إنهم ألقوا أقلامهم على جرية الماء، فذهبت الأقلام كلها مع الجرية؛ إلا قلم زكريا (عليه السلام)فإنه وقف على وجه الماء[١]، فاقترعوا واستهموا على أَنَّ من يثبت قلمه فِي المَاء وَصعد، فَهُوَ أولى بكفالتها، فَألْقوا الأقلام على المَاء وعَلى كل قلم اسْم وَاحِد مِنْهُم، فانحدرتْ أقلامُهم تجْرِي فِي المَاء، وَجرى قلم زَكَرِيَّا مصعدا إِلَى أَعلَى المَاء، قيل: غرقت أقلامهم، وارتد قلم زَكَرِيَّا، وَبَقِي فَوق المَاء[٢].

الغريب وموقف العلماء منه:

وأما الغريب الذي حكاه الكرماني أنَّ الأقلامَ هنا هي عصِيُّهم فلم أجد ذلك التفسير عند أحد إلا ما حكاه الرَّبِيعِ بن أنس[٣] قال: أَقْلامَهُمْ يعني: يعني: عِصِيّهُمْ، أَنَّهُمْ أَلْقَوْا عِصِيَّهُمْ فِي الْمَاءِ الْجَارِي جَرَتْ عَصَا زكريا ضدَّ جرية الماء فغلبهم[٤].

---

(١) تفسير الماتريدي: ٣٦٩/٢.

(٢) تفسير السمعاني: ٣١٨/١.

(٣) الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَهو من التابعين، لَقِيَ ابْنَ ابْنَ عُمَرَ، وَجَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنهم)، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ سنة ١٤٠هـ، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٦١/٧، تح/ محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٦٥٠/٢، وزاد المسير: ٢٨٢/١، وتفسير الفخر الرازي: ٢١٩/٨.

تعقيب:

وظاهرُ القرآن –والله أعلم– يؤيدُ أنَّ الأقلامَ على حقيقتها، وهي التي يُكتب بها؛ فإنه لا يُعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل(١)، وظاهرُ الدلالة يؤكدُ ذلك، فقد خَصَّصَت القلمَ بأنه الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ، قال الْقَاضِي عياض: وُقُوعُ لَفْظِ الْقَلَمِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ (يعني: السهام والقداح) وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا نَظَرًا إِلَى أَصْلِ الِاشْتِقَاقِ، إِلَّا أَنَّ الْعُرْفَ أَوْجَبَ اخْتِصَاصَ الْقَلَمِ بِهَذَا الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ، فَوَجَبَ حَمْلُ لَفْظِ الْقَلَمِ عَلَيْهِ(٢).

٣– من قول الله (تعالى): ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣]

"قوله: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ أي: لا تجوروا وتميلوا.

الغريب: ما رُوِيَ عن الشافعي (ﷺ) أنه فَسَّر ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ أن لا تُكْثِروا عيالكم، وأنكره الجمهور، وقالوا: إنما يقال: أعال الرجل إذا كثُر عيالُه، وأجازه قومٌ، وقالوا: هو من قولهم: عالت الفريضةُ إذا زادت"(٣).

أشار الكرماني إلى أن ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ يعني: لا تجوروا وتميلوا، وللعلماء ثلاثة أقوال في معنى الكلمة:

الأول: لا تجوروا وتميلوا.

---

(١) تفسير غريب القرآن تأليف: كاملة الكواري: ٤٤/٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢٢٠/٨.

(٣) غرائب التفسير: ٢٨٣/١.

الثاني: تكثر عيالكم.

الثالث: أَلا تَفْتَقِرُوا.

المعنى الأول: نص الكرماني في كلامه على أن معنى ﴿أَلَّاتَعُولُواْ﴾ أي لا تجوروا وتميلوا، وهو ما أكده أئمةُ التفسير واللغة، ففي مسائل نافع ابن الأزرق قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله (ﷻ):﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾، قال: أجدر أن لا تميلوا ولا تبخسوا.

قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟

قال: نعم، أما سمعتَ الشاعرَ وهو يقولُ:

إنّا تبعنا رسولَ الله واطَّرحُوا قولَ النَّبيّ وعالُوا في الموازين[١].

وعلل لذلك بأن المعنى: أنه قَصَرَ الرجالَ على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء، ولم يطلق لهم ما فوق ذلك، لئلا يميلوا[٢]، فَكَمَا خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي الْيَتَامَى فَخَافُوا فِي النِّسَاءِ إِذَا اجْتَمَعْنَ عِنْدَكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا[٣].

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٧٩/٢، والبيت من البسيط بلا عزو في جمهرة اللغة لابن دريد: (باب العين واللام مع الواو): ٩٥١/٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدرآباد، ط١، ١٣٤٤هـ، والصحاح (ع و ل): ١٧٧٧/٥.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٥٠، ٥١، تح/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، وزاد المسير: ٣٦٩/١.

(٣) شرح مشكل الآثار للطحاوي: ٤١٩/١٤، تح/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

ووافقه: مجاهد[١]، وعكرمة[٢]، وقتادة[٣]، والشعبي والنخعي[٤]، والفراء[٥]، وأبو عبيدة[٦]، والأزهري[٧]، والخطابي[٨]، وأبو هلال العسكري[٩]، ومكي[١٠]،

(١) تفسير مجاهد: ٢٦٦، تح/ د. محمد عبدالسلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي مصر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، وتفسير الطبري: ٥٤٨/٧، وتفسير ابن المنذر: ٥٥٧/٢، ومعاني القرآن للنحاس: ١٤/٢، وزاد المسير: ٣٦٩/١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٤٨/٧، وتفسير ابن المنذر: ٥٥٧/٢، ومعاني القرآن للنحاس: ١٤/٢، تح/ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ، وزاد المسير: ٣٦٩/١.

(٣) تفسير عبدالرزاق: ٤٣٣/١، تح/ د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ومعاني القرآن للنحاس: ١٤/٢.

(٤) تفسير ابن المنذر: ٥٥٧/٢.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢٥٥/١، تح/ محمد علي النجار وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، ط١.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيد: ص ١١٧، وتفسير ابن المنذر: ٥٥٧/٢.

(٧) التهذيب (كتاب الثلاثي المعتل من حرف العين: باب العين واللام): ١٢٤/٣، والزاهر للأزهري: ٢٣٢، والشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْر: ١٢٢/٥، تح/ أحمد بن سليمان، مَكتَبة الرُّشْدِ، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، واللسان (ع و ل): ٤٨١/١١، والتاج (ع و ل): ٧٠/٣٠.

(٨) غريب الحديث للخطابي: ١٣٨/٢، تح/ عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

(٩) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: ٤٧، تح/ محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(١٠) الهداية: ١٢٢٠/٢.

والزمخشري[١]، والسيوطي[٢]، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، كما قال قال الفخر الرازي[٣].

ومن أصحاب المعاجم: ابن دريد[٤]، والجوهري[٥]، وابن سيده[٦]، وابن منظور[٧].

و(عال يعول) بمعنى كثُر عيالُه فصيحة عند الكسائي وقال: سمعتُها من العرب، قال: فأما عامةُ أهل اللغة فإنهم يجعلون الإعالة بمعنى كثرة العيال[٨].

وفرَّق الكسائيُّ: بين عال الرجل يَعيلُ عَيلةً: إذا احتاج وافتقر، وقال: إنها تأتي فصيحة بمعنى كثُر عيالُه، وسمعها من بعض العرب، قال: وإذا أراد أنه كثُر عيالُه، قيل: أعال يُعيل (الرباعي)، وهو رجل مُعيل، وهو كلام

---

(١) الكشاف: ٤٨٦/١، ٤٨٧، والشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْرْ ١٢٢/٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ٥٠٨/٣، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) معترك الأقران للسيوطي: ٥٠٣/٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٤٨٩/٩، واللسان (ع و ل): ٤٨١/١١.

(٤) جمهرة اللغة (باب العين واللام مع الواو): ٩٥١/٢.

(٥) الصحاح (ع و ل): ١٧٧٧/٥.

(٦) المحكم (ع و ل): ٣٥٧/٢.

(٧) اللسان (ع و ل): ٤٨١/١١.

(٨) ينظر: غريب الحديث للخطابي: ١٣٨/٢، والتهذيب (كتاب الثلاثي المعتل من حرف حرف العين: باب العين واللام): ١٢٤/٣، والزاهر للأزهري: ٢٣٢، والغريبين للهروي: ١٣٤٣/٤، والشَّافِي فيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْرْ: ١٢٢/٥، واللسان (ع و ل): ٤٨١/١١، والتاج (ع و ل): ٧٠/٣٠.

عامة أهل اللغة، يجعلون الإعالة بمعنى كثرة العيال[١]، وتبعه أبو عبيد[٢]، والأخفش[٣]، وابنُ قتيبة[٤]، والطبري[٥]، والزجاج[٦]، والسجستاني[٧].

ونقل الثعلبي عن مقاتل أن (تعولوا) تميلوا بلغة جرهم[٨]، وهو ما ذهب إليه أبو عبيد[٩]، بينما نصَّ أَبُو عَمْرٍو الدُّورِيُّ الْمُقْرِي على أنها لُغَةُ حِمْيَرَ، واستشهد بقول الشاعر:

وإنَّ الموتَ يأخذُ كلَّ حيٍّ بلا شك وإن أمشى وعالا

أي كثرت ماشيته وعياله[١٠].

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم: ٤٢٥/٥، تح/ د. محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وغريب الحديث للخطابي: ١٣٨/٢، والغريبين للهروي: ١٣٤٣/٤، والزاهر للأزهري: ٢٣٢، واللسان (ع و ل): ٤٨١/١١، والتاج (ع و ل): ٧٠/٣٠.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد: ٤٢٥/٥.

(٣) معاني القرآن للأخفش: ٣٥٦/١، تح/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٤٤/١.

(٥) تفسير الطبري: ٥٤٨/٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١١/٢، وزاد المسير: ٣٦٩/١، والبحر المحيط ٥٠٨/٣.

(٧) غريب القرآن للسجستاني: ١٣٨.

(٨) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عُبيد القاسم بن سلام: ص ٤.

(٩) تفسير الثعلبي: ٢٤٨/٣.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٢٤٧/٣، ٢٤٨، والبحر المحيط ٥٠٩/٣، وفتح الباري ٢٤٦/٨، وفيها: أن أَبا عَمْرٍو الدُّورِيّ الْمُقْرِي كَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ غَيْرَ مُدَافَعٍ، والبيت من الوافر، ولم أقف عليه.

الغريب وموقف العلماء منه:

وهو القول الثاني الذي أورده الكرماني ونسبه للإمام الشافعي، ووصفه بالغرابة، وهو أن معنى (تعولوا) تكثر عيالكم.

تعقيب:

والحقُّ أنَّ القول مَنْ رأى ذلك هو زَيْدُ بْنِ أَسْلَمَ[١]، والشافعيُّ مقتفٍ أثره، يقولُ الطحاوي: وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ التَّابِعِينَ رُوِيَ عَنْهُ فِي تَأْوِيلِهَا غَيْرُ هَذَا التَّأْوِيلِ غَيْرَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ فِي تَأْوِيلِهَا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى أَنْ لَا يَكْثُرَ عِيَالُهُمْ[٢]، وهو ما أكده الشافعي[٣]، ورواه ابن أبي حاتم بسنده عَنْه[٤]، عَنْه[٤]، وتبعه أبو عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي (صاحب ثعلب) في كتاب كتاب (ياقوتة الصراط) قال: وتعولوا: تكثر عيالكم[٥].

(١) زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ هو مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَيُكَنَّى أَبَا أُسَامَةَ، كَانَتْ له حَلْقَةٌ في مسجد مسجد رسول الله (ﷺ) وقد روى عن ابن عمر (ﷺ)، وَعَنْ أَبِيهِ، وَعَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، وَعَبْدِالرَّحْمَنِ بن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَكَانَ ثِقَةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ، تُوفِّي سَنَةَ ١٤٣هـ، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومَنْ بَعْدَهُمْ: ٣١٤، ٣١٥، تح/ زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي ٤٢٩/١٤.

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي: ٧٧، وتفسير الآلوسي: ٤٠٧/٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٠/٣.

(٥) تفسير الإمام الشافعي: ٥١٦/٢، تح/ د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية- السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

فيما خطَّأه الزجَّاجُ مستدلًّا على ذلك بأنهم كانوا يرغبون في التزويج من اليتامى لمالهنَّ، أنهم كانوا لا يبالون ألَّا يعْدلوا في أمرهم(١)، ووصفه الطحاوي بالفساد(٢)، وقال السجستاني والسيوطي: غير مَعْرُوف فِي اللُّغَة(٣)، وقال الماتريدي: لا يستقيمُ في اللغة؛ لأنه يقال من كثرة العيال: أعال يُعِيل إعالة؛ فهو معيل، ولا يقال: عال يعول، وإنما يقال ذلك في الجور(٤).

وقال المبرد: ليس لـ ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ من العيال ههنا معنى، وهو على قول أهل التفسير أن لا تميلوا ولا تجوروا(٥).

وجعله ابنُ حِبَّان من الأقوال التي يجب دحضها، وبوَّب في صحيحه تحت عنوان: ذِكْرُ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ قوله (جل وعلا): ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أراد به كثرة العيال(٦).

وعده الحريري من الوهم(٧).

---

(١) معاني القرآن للزجاج: ١١/٢، وزاد المسير: ٣٦٩/١، والبحر المحيط: ٥٠٨/٣.

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي: ٤٢٩/١٤.

(٣) غريب القرآن للسجستاني: ١٣٨، ومعترك الأقران للسيوطي: ٩٩/٢.

(٤) تفسير الماتريدي: ١٢/٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس: ١٤/٢.

(٦) صحيح ابن حبان: ٣٣٨/٩، تح/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٧) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري: ص ١٩١، تح/ عرفات مطرجي، مؤسسة مؤسسة الكتب الثقافية– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

فيما انتصر له ابن فارس قائلًا: والشَّافِعِيُّ مِن اللغةِ بالْمَكانِ الذي كان به، فهذا مِن جِهَةِ التَّوْقِيفِ، ثم دافع عن قوله مؤكدًا على أنَّ اللُّغَةَ تؤيدُ ذلك، فالعربُ تقولُ: عالَ الرجلُ وأعَالَ، إذا كَثُرَ عِيالُه، وهما بمعنًى واحدٍ. وقال: إنَّ معنَى عالَ يَعُولُ –وإن كان مَرْجِعُه إلى مَالَ يَمِيلُ– فهو يعُودُ إلى كَثْرَةِ الْعِيالِ، وذلك أنَّ الرجلَ إذا كَبُرَ ضَعُفَ عن عَيْلِهِنَّ وعَجَزَ، فيُقال: عَالَ عن ذلك. أي: ضَعُفَ.

فيكون معنَى الآيةِ: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ أي: لا تقوموا برعاية عَدَدٍ كبيرٍ مِن الْعِيالِ، فلعلَّكم لا تُطِيقُون ذلك، قال النبيُّ (ﷺ): "خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كانَ عنْ ظَهْرِ غِنًى، وابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ"(١).

يقولُ ابنُ فارس: ومنَ الدَّليلِ على صِحَّةِ قَوْلِنا، أنَّ العربَ تقُولُ: عالَ الرجلُ: إذا كان ذا عِيالٍ، قَوْلُ جَرِيرٍ(٢):

واللهُ أنْزَلَ في الْكِتابِ فَرِيضَةً لابْنِ السَّبِيلِ وللْفَقِيرِ الْعائِلِ

أراد به ذَا الْعِيالِ الذي يَعُولُ عِيالَه، لا مَعْنَى أنْ يقُولَ (وللْفَقِيرِ) فعُلِمَ أنَّه أراد به ذَا الْعِيالِ(٣).

---

(١) الحديث في صحيح البخاري: ١١٢/٢، وصحيح مسلم: ٧١٧/٢.

(٢) البيت من الكامل لجرير في ديوانه، من قصيدة يمدحُ فيها عمر بن عبدالعزيز، ينظر: ديوان جرير: ص ٣٣١، تح/ كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٣) حلية الفقهاء لابن فارس: ص ١٨٩، تح/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الشركة الشركة المتحدة للتوزيع– بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وقال الأزهري: وَقَول الشَّافِعِي نَفسه حجَّة؛ لِأَنَّهُ عربيُّ اللِّسَان فصيحُ اللهجة. وَقد اعْترض عَلَيْهِ بعض المتحذلقين فخطَّأه، وَقد عجل وَلم يتثبت فِيمَا قَالَ. وَلَا يجوز للحضريّ أَن يعجل إِلَى إِنْكَار مَا لَا يعرفهُ من لُغَات الْعَرَب سَلمَة عَن الفرّاء قَالَ: قَالَ الكلبيّ مَا زلت مُعيلاً، من العَيْلة أَي مُحْتَاجًا[1].

قال أبو حاتم: كان الشافعيُّ أعلمَ بلغة العرب منّا ولعله لغة.

ومما يقوي قول الشافعي قراءة طلحة بن مصرف: ألّا تَعيلوا بفتح تاء المضارعة من عالَ يعيل: افتقر، وعليه قال الشاعر[2]:

وَلَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَلَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

وقراءة طاووس: تُعيلوا بضمها من أعال: كَثُر عياله، وهي تعضُد تفسيرَ الشافعي المتقدم من حيث المعنى[3].

وقال أَبو عُمَرَ غُلَامُ ثَعْلَبٍ: كَلَامُ الشَّافِعِيِّ صَحِيحٌ، سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبًا يَقُولُ: تَأْخُذُونَ عَلَى الشَّافِعِيِّ وَهُوَ مِنْ بَيْتِ اللُّغَةِ يَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ[4].

---

(١) التهذيب (كتاب الثلاثي المعتل من حرف العين: باب العين واللام): ١٢٤/٣، والزاهر للأزهري: ٢٣٢، واللسان (ع و ل): ٤٨١/١١، والتاج (ع و ل): ٧٠/٣٠.

(٢) البيت من الوافر لأحيحة بن الجلاح كما في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي: ص ٢٧، تح/ علي محمد البجادي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) تفسير الثعلبي: ٢٤٧/٣، وقراءة طلحة وطاووس في الدر المصون: ٥٦٧/٣.

(٤) معرفة السنن والآثار للبيهقي: ٢٧٦/١١، تح/ عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الوفاء المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، والشَّافِي لابْنِ الأثِيرْ: ١٢٢/٥.

ووجَّه الزمخشري كلام الشافعي أن يُجعلَ من قولك: عال الرجل عياله يعولهم، كقولهم: مانهم يمونهم، إذا أنفق عليهم؛ لأنّ من كثُر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع وكسب الحال والرزق الطيب، قال: وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورءوس المجتهدين، حقيقي بالحمل على الصحة والسداد، وأن لا يظنّ به تحريف تعيلوا إلى تعولوا، والشافعي كان أعلى كعبًا وأطول باعًا في علم كلام العرب، من أن يخفى عليه مثلُ هذا، ولكنَّ للعلماء طرقًا وأساليبَ، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات(١).

وجدير بالذكر أن في اللفظة أقوالًا أخر:

القول الثالث: ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قال: ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا أَيْ: أَلا تَفْتَقِرُوا(٢).

القول الرابع: عن مجاهد يَقُول فِي " {أَلَّا تَعُولُوا} أَلا تضلوا "(٣).

القول الخامس: عن النَّخَعِيّ قَالَ: لَا تَخُونُوا(٤).

القول السادس: للفراء والأصم: أن لا تجاوزوا ما فرض اللهُ عليكم، وأصل العول المجاوزة، ومنه عول الفرائض(٥).

---

(١) الكشاف: ٤٨٦/١، ٤٨٧، والشَّافِي لابْنِ الأثِيرْ: ١٢٢/٥، والبحر المحيط: ٥٠٨/٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٨٦٠/٣.

(٣) تفسير ابن المنذر: ٥٥٨/٢، وتفسير الثعلبي: ٢٤٨/٣، والهداية: ١٢٢٠/٢، وتفسير الماوردي: ٤٥٠/١، وزاد المسير: ٣٦٩/١، والبحر المحيط: ٥٠٨/٣.

(٤) البحر المحيط: ٥٠٨/٣.

(٥) تفسير الثعلبي: ٢٤٨/٣.

تعقيب:

وسياق الآيات يؤكد كلام الجمهور أن معنى (أَلَّا تَعُولُوا) أي: لا تجوروا وتميلوا، فإنه قَصَرَ الرجالَ على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء، ولم يطلق لهم ما فوق ذلك، لئلا يميلوا(١)، ثم قال: وكَمَا خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي الْيَتَامَى فَخَافُوا فِي النِّسَاءِ إِذَا اجْتَمَعْنَ عِنْدَكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا(٢).

كما يؤيده الاشتقاق: فإنه يُقالُ: عالت الفريضةُ إذا زادت السهامُ فنقص من له الفرضُ، ومنه معولتي هذا على فلان أي أنا أميل إليه وأتجاور، ومنه (عالني الشيء) إذا تجاوز المقدار، ومنه فلان يعول والعويل إنما هو المجاوزة، وأيضًا فإنه إنما يُقالُ: أعال الرجلُ يُعيل إذا كثُر عيالُهُ(٣).

وأيضًا فإن الهمزة في أعال يُعيل (الرباعي)، للصيرورة، يقال: أعال الرجلُ يُعيل فهو مُعيل، يعني: صار ذا عيال، كما يقال: أطفلت المرأة، أي: صارت ذات أطفال.

٤- قول الله (ﷻ):﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣]

يقول الكرماني: "قوله: (ٱلصُّورِ ۚ): هو قرنٌ يُنفخُ فيه.

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٥٠، ٥١، وزاد المسير: ٣٦٩/١.
(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي: ٤١٩/١٤.
(٣) معاني القرآن للنحاس: ١٤/٢.

الغريب: جمع صُورة، كسُورة وسُور، وصُوفة وصُوف، أي: ينفخ الأرواح في الأجساد"[١].

حكى الكرماني أن للعلماء في معنى الصور مذهبين:

الأول: أنه قرنٌ يُنفخُ فيه.

الثاني وهو ما وصفه بالغرابة: أنه جمع صُورة، على أن يكون المعنى: ينفخ الأرواح في الأجساد.

فأما المذهب الأول فيمثلُه جمهورُ العلماء، فالصُّور: كَهَيْئَةِ الْبُوقِ، حكاه مجاهد[٢]، وأكد مقاتل على أنه قَرْنٌ يشبه البوق، ودائرة رأس القرن كعرض السماء والأرض، وذلك أنَّ إسرافيلَ واضعٌ فاه على القرن وهو شاخصٌ ببصره نحو العرش[٣]، يقولُ ابنُ جنى: الصور: القرن، ويقال: فيه ثقب بعدد أنفس البشر، فإذا نفخ فيه قال الناس بالأَرْمَاسِ[٤].

واشتقاق اللفظ يؤيد ما ذهبوا إليه، يقول أبو الحسن القيرواني: الصور: قرنٌ من نور، يُنفخُ فيه يوم القيامة، واشتقاقُه من: صُرْتُ الشيءَ أَصُورُه، أي:

---

(١) غرائب التفسير للكرماني: ٣٦٧/١.

(٢) تفسير مجاهد بن جبر: ٥٨٠، تح/ د. محمد عبدالسلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٥/٣، تح/ د. عبدالله شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٤) المحتسب لابن جني: ٥٩/٢، وزارة الأوقاف– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، والأرماس جمع رَمْس، وهو القبر وما يُحثى على الميت من التراب، وأصله الدفن وحثي التراب عليه، يقال: رمسه بالتراب، ينظر: أساس البلاغة للزمخشري (ر م س): ٣٨٥/١.

أملتُه وعطفتُه، كأنه قال: يُميلُ الناس إلى الحشر ويعطفهُم[١]، وهو ما أكده الفرَّاء[٢]، ورجحه الطبري[٣].

وحكى ابن قتيبة أن الصُّور القَرْن بلغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطَحْناهمْ غَداةَ الْجَمعَيْن بالضَّابِحَاتِ في غُبارِ النَّقْعَين

نَطْحًا شدِيدًا لا كَنَطحِ الصُّورَين[٤].

وتبعه في هذه النسبة اللهجية ابن دريد[٥]، وآخرون[٦]،

الغريب وموقف العلماء منه:

فأمَّا الغريبُ الذي حكاه الكرماني، وهو أن الصور جمع صُورة، كسُورة وسُور، وصُوفة وصُوف، ليكون المعنى: ينفخ الأرواح في الأجساد، فمال إليه الْحَسَن[٧]، وأكده أبو عبيدة بقوله: يقال إنها جمع صورة تنفخ فيها

---

(١) النكت في القرآن الكريم لأبي الحسن القيرواني: ص ٤١٠، تح/ د. عبدالله عبدالقادر الطويل، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٣٤٠/١، وشرح مشكل الآثار للطحاوي: ٣٨٢/١٣.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٢/١١.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٦، وجمهرة اللغة (باب الراء والصاد مع الواو): ٧٤٥/٢، والرجز بلا عزو فيهما وفي: الزاهر لابن الأنباري: ٤١٦/١، واللسان (ص و ر): ٤٧٥/٤.

(٥) جمهرة اللغة (باب الراء والصاد مع الواو): ٧٤٥/٢.

(٦) تفسير الثعلبي: ١٥٩/٤، وتفسير النسفي: ٥١٥/١، وتفسير الخازن: ١٢٤/٢، والبحر المحيط: ٥٣٤/٤، والدر المصون: ٦٩٣/٤.

(٧) معاني القرآن للفراء: ٤٢٥/٢، والزاهر لابن الأنباري: ٤١٦/١، والإبانة للعوتبي: ٣٧٢/٣.

روحها فتحيا، وقاسه على قولهم: سور المدينة واحدتها سورة[١]، وفي تفسير عبدالرزاق: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (ﷺ) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي قَوْلِهِ (تَعَالَى): ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الزمر: ٦٨] يَعْنِي: صُوَرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ نُفِخَ فِيهَا كُلِّهَا[٢].

وحكاها ابن جنى قراءة لعياض قال: "فِي الصُّوَرِ" بفتح الواو، هذا جمع صورة[٣]، فيما نسبها الجوهري للحسن قال: (يوم ينفخ في الصِّوَر)، بكسر الصاد: والصور بالكسر الصاد: لغة في الصُّوَر جمع صورة، قال: ويُنشَدُ هذا البيتُ على هذه اللغة يصف الجواري:

أشْبَهْنَ من بَقَرِ الخَلْصاءِ أعْيُنَها وهُنَّ أحْسَنُ من صِيرانِها صِوَرا[٤]

وراح مكي يدلل على أن الصُّور جمع صُورَة، وأصل الْوَاو الْحَرَكَة وَلَكِن أسكنت تَخْفِيفًا، فأصله الصُّوَر أَي صور بني آدم[٥].

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيد: ١٩٦، وجمهرة اللغة (باب الراء والصاد مع الواو): ٧٤٥/٢، وشرح مشكل الآثار للطحاوي: ٣٨٢/١٣، وتفسير الثعلبي: ١٥٩/٤، والتفسير البسيط: ٢٣٠/٨.

(٢) تفسير عبدالرزاق: ١٣٥/٣.

(٣) المحتسب: ٥٩/٢.

(٤) الصحاح (ص و ر): ٧١٦/٢، والمحرر الوجيز: ٣٠٩/٢، وفتح القدير: ١٤٩/٢، وفي زاد المسير: ٤٤/٢: قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مِجْلَز، وأبو المتوكل «في الصُّوَر» بفتح الواو، والبيت من البسيط بلا عزو في معجم ديوان الأدب للفارابي: ٣٤٥/٣، تح/ د. أحمد مختار عمر، طبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، واللسان (ص و ر): ٤٧٣/٤، والخَلْصاءُ: ماءٌ بِالْبَادِيَةِ، وَقِيلَ مَوْضِعٌ فِيهِ عَيْنُ مَاءٍ، ينظر: اللسان (خ ل ص): ٢٩/٧.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ٦٠٦/٢، تح/ د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، وعمدة الحفاظ: ٣٦٠/٢.

وبعد أن حكى الزجاج أن كليهما جائز، مال إلى أنَّ أثبتَ القولين في الحديث والرواية أن الصور قرنٌ(١).

كما حكى القولين دون ترجيح: ابنُ الأنباري(٢)، والسجستاني(٣)، والنحاسُ(٤)، والفارابي(٥)، وأبو علي الفارسي(٦)، ومكي بن أبي طالب(٧).

تعقيب:

والحقُّ –والله أعلم– أن الصُّور هو القَرْنُ، كما رأى أئمة التفسير وأهل اللغة، فَهُوَ وَاحِدٌ لَا يجوزُ أَن يُقَال واحدتُه صورَة، وَأما صُورَة الْإِنْسَان فتُجمع على الصُّوَر بفتح الواو(٨)، ولذلك حكى الأزهري عَن أبي الْهَيْثَم اعْتراضَه على من ادَّعَوْا أَن الصُّور جمع صُورَة، كَمَا أَن الصُّوف جمع صوفة، والثُّوم جمع ثُومة، كأبي عُبَيْدَة وغيره، قَالَ: وَهَذَا خطأٌ فَاحش، وتحريفٌ لكلِم الله عَن موَاضعهَا؛ لِأَن الله (ﷻ) قَالَ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

(١) معاني القرآن للزجاج: ٢٦٤/٢، والتفسير البسيط: ٢٣٠/٨.

(٢) الزاهر لابن الأنباري: ٤١٦/١.

(٣) غريب القرآن للسجستاني: ٣٠٨.

(٤) معاني القرآن للنحاس: ٤٤٧/٢.

(٥) معجم ديوان الأدب: ٣١٥/٣.

(٦) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي: ٢٥٠/٥، تح/ بدر الدين قهوجي– بشير جويجابي، دار المأمون للتراث– دمشق / بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٧) الهداية: ٢٠٦٩/٣.

(٨) التهذيب (أبواب معتلات الصاد: باب الصاد والراء): ١٦٠/١٢، والتفسير البسيط: ٢٣٠/٨، وتفسير الفخر الرازي: ٢٨/١٣، وتفسير القرطبي: ٢٠/٧، واللسان (ص و ر): ٤٧٥/٤، والدر المصون: ٦٩٣/٤.

صُوَرَكُمۡ ﴾ [غَافِر: ٦٤]، بِفَتْح الْوَاو، وَلَا نعلَم أَحدًا من الْقُرَّاء قرأَها: (فأحْسَن صُوْرَكم)، وَكَذَلِكَ قَالَ الله (تعالى): ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الْكَهْف: ٩٩] فَمن قرأَها (ونُفخ فِي الصُّوَر) أَو قَرَأَ: (فَأحْسن صُوْرَكم) فقد افترَى الكَذِب وبدّل كتابَ الله، قال: وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَة صاحبَ أخبارٍ وغريب، وَلم يكن لَهُ معرفَة بالنحو[١].

وعقب الأزهري عليه بقوله: قد احتجَّ أَبُو الهَيْثم فأحسَنَ الِاحْتِجَاج، وَلَا يَجوز عِنْدِي غير مَا ذَهَب إِلَيْهِ، وَهُوَ قولُ أهلِ السنّة وَالْجَمَاعَة، والدّليل على صحّة مَا قَالُوا: أَن الله (ﷻ) ذكر تصويرَه الخَلْق فِي الْأَرْحَام قبل نَفْخ الرُّوح، وَكَانُوا قبلَ أَنْ صوَّرهم نُطَفًا، ثمَّ عَلقًا، ثمَّ مُضَغًا، ثمَّ صوّرَهم تصويرًا، فأمّا البَعْث فإنّ الله (ﷻ) يُنشِئهم كَيفَ شَاءَ، وَمن ادّعى أَنه يصوّرُهم ثمَّ ينْفخ فيهم فَعَلَيهِ البَيَان، ونَعوذ بِاللَّه من الخِذْلان[٢].

كما عارضه السمرقندي بأن هذا خلاف أقاويل جميع المفسرين لأنهم كلَّهم قالوا: هو نَفْخُ إسرافيل في الصور[٣].

وقال ثعلب: الأجود أن يكون الصور: القرن، لأنه قال (ﷻ):﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الزمر: ٦٨] وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ثم قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ ﴾ [الزمر: ٦٨] ولو كان الصُّوَر، كان: ثم نُفخ فيها،

(١) التهذيب (أبواب معتلات الصاد: باب الصاد والراء): ١٦٠/١٢، وتفسير الفخر الرازي: ٢٨/١٣، والدر المصون: ٦٩٣/٤.

(٢) التهذيب (أبواب معتلات الصاد: باب الصاد والراء): ١٦١/١٢، واللسان (ص و ر): ٤٧٥/٤، والدر المصون: ٦٩٣/٤.

(٣) تفسير السمرقندي: ٤٥٩/١.

أو فيهن وهذا يدل على أنه واحدٌ، وظاهرُ القرآن يشهد أنه يُنفخ في الصُّور مرتين[١]، وتبعه ابنُ الأثير قائلًا: والصحيحُ الأوَل؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ تعاضَدَتْ عَلَيْهِ، تَارَةً بالصُّور، وَتَارَةً بالقَرْن[٢]، فَالصُّورُ قَرْنٌ مِنْ نُورٍ يُنْفَخُ فِيهِ، النَّفْخَةُ الْأُولَى لِلْفَنَاءِ وَالثَّانِيَةُ لِلْإِنْشَاءِ، وَلَيْسَ جَمْعُ صُورَةٍ كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ[٣].

٥-قول الله (تعالى): ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أي أعلمَ، كقوله: ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، أي: أعلمتكم، ويأتي (أَفْعَلَ) و(تفَعّل) بمعنى، نحو: أرْضاه وترَضَّاه، وأوعده وتوعَّده، وأيقنته وتيقَّنته، وقيل: تأذَّن معناه: أمَرَ من الإذن.

الغريب: معناه حلف، ولهذا جاءت باللام"[٤].

وقد اختلفت كلمة المفسرين واللغويين حول معنى (تَأَذَّنَ):

الرأي الأول: بعضُ العرب يُجري (أذنت) مجرى (آذنت) فيجعل أذَّن وآذَنَ بمعنى، يقول سيبويه: من العرب من يجعل أذَّنَ وآذَنَ بمعنًى، كأنّه جعله بمنزلة سمَّى وأسْمى، وخبَّر وأخْبر، فإذا كان أذَّنَ: أعلم في لغة بعضهم،

(١) زاد المسير: ٤٤/٢:

(٢) النهاية: ٦٠/٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٠/٧.

(٤) غرائب التفسير للكرماني: ٤٢٦/١.

فتأذَّن: تفعَّل من هذا، فبناء الفعلين يتفق والمعنى يختلف، وكذلك تأذَّن بمنزلة علم ومثل تفعّل، في أنّه يراد به (فَعَلَ) قول زهير[١]:

تعلَّمْ أنّ شرَّ النّاسِ قومٌ يُنادى في شعارهم يَسَارُ

وكذلك قوله:

تعلّماها لعمرُ الله ذا قسمًا فاقصدْ بذرعك وانظرْ أين تنسلك[٢]

ليس يريد: تعلَّمْ هذا عن جهلٍ به، إنّما يريد به: اعلم، كأنّه ينبهه ليقبل على خطابه.

وهذا كثيرٌ يريدون به: اعلم، وليس يريدون تعلّم، كما يريدون بقولهم: تعلّم الفقه، إنّما يريدون: اعلم.

فكذلك تأذّن معناه: علم. ومما يدل على أنّ معناه العلم، وقوع لام اليمين بعدها كما تقع بعد العلم في نحو: علم الله لأفعلنّ، فكأنّ المعنى في تأذّن: علم ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) البيت من الوافر لزهير في ديوانه: ص ٥١، شرحه وقدم له/ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وهو مطلع قصيدة قالها في راعي إبل له، يقال له: يسار، والشِّعارُ: الْعَلَامَةُ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا، ينظر: لسان العرب (ش ع ر): ٤١٣/٤.

(٢) البيت من البسيط لزهير في ديوانه: ص ٨١، فاقصدْ بذرعك يعني: لا تكلفْ نفسك بما لا تُطيق، والانْسلاك: مطاوع السَّلْك بالفتح وهو: مصدر سَلَكْتُ الشيءَ في الشيء فانْسَلَكَ، أي: أدخلتُه فيه فدخَل، ينظر: الصحاح (س ل ك): ١٥٩١/٤.

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي: ٤١٠/٢، ٤١١، وينظر: التفسير البسيط: ٤٢٢/٩.

وأكَّد الفراءُ على أنَّ معناهُ: أعلم ربُّكم، وأن العرب تُناوبُ بين الأفعال في المعنى، ورُبَّما قالت العربُ فِي معنى أفعلت تفعَّلت، ومثله: أوعدني وتوعَّدني وهو كَثِير(١)، وتبعه ابن قتيبة(٢)، والطبري(٣)، والزجاج(٤)، والسجستاني(٥)، والنحاس(٦)، والأزهري(٧)، والهروي(٨)، ومكي بن أبي طالب(٩).

كما مال إليه الثعلبي مستدلًّا بقراءة عبدالله بن مسعود (ﷺ): "وإذ قال ربكم"، قال: وأذن ويأذن بمعنى واحد مثل أوعد وتوعد(١٠)، وفي الصحاح: أنَّ قولَهُ (تعالى): ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: أعلم، فإنه يُقالُ: تأذّنَ

(١) معاني القرآن للفراء: ٦٩/٢، وتفسير الماتريدي: ٧٥/٥، والمقاييس (أ ذ ن): ٧٧/١.
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة: ص ١٧٤، وزاد المسير: ١٦٤/٢، والبحر المحيط: ٢٠٦/٥.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠٤/١٣.
(٤) معاني القرآن للزجاج: ٢٨٧/٢، والبحر المحيط: ٢٠٦/٥.
(٥) غريب القرآن للسجستاني: ١٤٠.
(٦) معاني القرآن للنحاس: ٩٦/٣.
(٧) التهذيب (أ ذ ن): ١٥/١٥.
(٨) الغريبين للهروي: ٦٠/١.
(٩) الهداية: ٣٧٧٧/٥.
(١٠) تفسير الثعلبي: ٣٠٦/٥، والقراءة منسوبة في تفسير الفخر الرازي: ٦٦/١٩، وتفسير القرطبي: ٣٤٣/٩، وجدير بالذكر أن مكي بن أبي طالب نص على أنها ليست قراءة فقال: وقال ابن مسعود: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ}: أي: قال ربكم، وكذلك قال ابنُ زيد: معناه: قال ربكم ذلك التأذن، ينظر: الهداية: ٣٧٧٧/٥.

الأميرُ في الكلام، أي: نادى فيهم في التَهَدُّدِ والنهى، أي تقدم وأعلم[١]، مما جعل السمرقندي يصرح بأن كلَّ شيءٍ في القرآن تأذن فهو إعلام[٢].

الثاني: أنَّ (تَأَذَّنَ) معناهُ (قال)، وذهب إلى ذلك: ابنُ عباس[٣]، ومجاهدٌ[٤]، ومجاهدٌ[٤]، وقتادةُ[٥]، وابنُ أبي حاتم[٦].

الثالث: عن مجاهد وقتادة وأبي عبيدة: أنَّ (تأذن) يعني: أمر[٧].

الغريب وموقف العلماء منه:

عدَّ الإمام الكرماني من الغريب: تَأَذَّنَ بمعنى حلف، وهو ما ذكره الزجاج بقوله: معنى تَأَذَّنَ: تَأَلَّى وأقسم وحلف[٨]، كما حكاه الماوردي[٩]،

(١) الصحاح (أ ذ ن): ٢٠٦٩/٥.

(٢) تفسير السمرقندي: ٥٦١/١.

(٣) تفسير الثعلبي: ٢٩٩/٤، وتفسير البغوي: ٢٤٣/٢.

(٤) تفسير مجاهد: ٣٤٥، والمحرر الوجيز: ٤٧١/٢.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ١١٩/١، تح/ د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٠٣/٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠٤/١٣، ومجاز القرآن لأبي عبيد: ٢٣١، وتفسير الثعلبي: ٢٩٩/٤، والهداية: ٢٦١٢/٤، وتفسير البغوي: ٢٤٣/٢.

(٨) معاني القرآن للزجاج: ٢٨٧/٢، والتفسير البسيط :٤٢٢/٩، وتفسير السمعاني ٢٢٧/٢، وينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لأبي القاسم النيسابوريّ: ص ٥٣٨، تح/ سعاد بنت صالح بابقي، جامعة أم القرى– مكة المكرمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٩) تفسير الماوردي: ٢٧٣/٢.

وابنُ منظور(١)، والزبيدي(٢).

وعلل له ابنُ عطية بأنَّ الذي قادهم إلى هذا القول دخولُ اللام في الجواب، وأما اللفظةُ فبعيدةٌ عن هذا(٣)، وتبعه صاحبُ الكشاف(٤).

تعقيب:

لعل قوة الكلام وشدته (من التشديد في الفعل، وسياق الكلام، وتأكيده باللام) هي التي دعت إلى القول بأن معنى الفعل القسم، يقول ابنُ كثير: وَفِي قُوَّةِ الْكَلَامِ مَا يُفِيدُ مَعْنَى الْقَسَمِ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَلِهَذَا تُلُقِّيَت بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٧](٥)، وقال النيسابوري: فيه معنى القسم القسم ولذلك دخلت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء(٦)، وقال أبو السعود: تأذّن ربكم أي آذن إيذانًا بليغًا لا تبقى معه شائبةٌ؛ لِما في صيغة التفعُّل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمالُ(٧).

---

(١) اللسان (أ ذ ن): ١٣/١٣.

(٢) تاج العروس (أ ذ ن): ١٦٨/٣٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٧١/٢، والبحر المحيط: ٢٠٦/٥.

(٤) الكشاف: ١٧٣/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ٣٣٨/٣، تح/ الشيخ الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٦هـ، والبحر المحيط: ٢٠٦/٥، وفتح القدير للشوكاني: ٢٩٦/٢، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٣.

(٦) غرائب القرآن للنيسابوري: ١٧٣/٤.

(٧) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): ٣٤/٥، دار إحياء إحياء التراث العربي- بيروت.

ويزيد الكلام تأكيدًا أن اللفظة (تَأَذَّنَ) وردتْ في القرآن مرتين، كلاهما بنفس السياق من التشديد في الفعل، مع تأكيده باللام، هذا الموضع في الأعراف، والآخر في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]

فـ (تَأَذَّنَ رَبُّكَ) معناها: آذنهم بقوة وشدة، ولشدة الإيذان والإعلام كانت متضمنةً معنى القسم؛ ولذلك كان فيها لامُ القسم، وفيها نونُ التأكيد التي تُلازمُ جواب القسمِ (لَيَبْعَثَنَّ) جواب القسم أو في معنى جواب القسم(١).

ولعلَّ هذا هو السبب في إيثار (تَأَذَّنَ) على (أذن)، يقول السيوطي: ولابد في (تَفَعَّل) من زيادة معنى ليس في (أَفْعَلَ)، كأنه قيل: وإذ تأذن ربّكم إيذانًا بليغًا ينفي عنه الشكوك، ولأجل أن تفعّل يقتضي التكلّف والمشقة حمله الزمخشري –والله أعلم– على أنَّ التضعيف للتأكيد والمبالغة في الإذن(٢).

٦– قول الله (ﷻ):﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أي دولتُكم وقدرتُكم ونصرتُكم.

الغريب: هي الريحُ الحقيقيةُ إذا كانت في قوم ظفروا، ولهذا قال (ﷺ): «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»"(٣).

---

(١) زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة: ٦/ ٢٩٩٣، دار الفكر العربي.

(٢) معترك الأقران: ٣/٣١١.

(٣) غرائب التفسير للكرماني:١/٤٤٢، والحديث في صحيح البخاري: ٢/٣٣، وصحيح مسلم: ٢/٦١٧، عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

نصَّ الإمام الكرماني على أن الريح في الآية الكريمة بمعنى الدولة والقدرة والنصر، وللعلماء في ذلك أقاويل:

الأول: عَنْ مُجَاهِدٍ: أن الريح هنا بمعنى النصر(١)، ووافقه ابن عرفة(٢).

الثاني: أن الريح هنا بمعنى الدولة، شُبِّهتْ في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره. ومنه قوله:

يَا صَاحِبَيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِالْوَادِي إِلَّا عَبِيدٌ قُعُودٌ بَيْنَ أَذوَادِ

أَتُنْظِرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَعْدُوَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَادِي(٣)

ولذا عدَّه أبو عبيدة من المجاز ومعناه: تنقطع دولتكم(٤)، ووافقه ابنُ قتيبة ذاهبًا إلى أن المعنى: دَوْلَتُكم، فيقال: هبت له ريح النصر، إذا كانت له

---

(١) تفسير مجاهد: ٣٥٦، وتفسير الطبري: ٥٧٥/١٣، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٧١٢/٥، ومعاني القرآن للنحاس: ١٦٢/٣، وتفسير الثعلبي: ٣٦٣/٤.

(٢) الغريبين للهروي: ٧٨٦/٣، وتفسير الماتريدي: ٢٣٣/٥.

(٣) الكشاف: ٢٢٦/٢، والبحر المحيط: ٣٣٢/٥، والبيتان من البسيط للسُّليك بن السلكة كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٥٤/١، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، واللسان (أ م ا): ٤٥/١٤.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيد: ٢٤٧، وأحكام القرآن للجصاص: ٢٥١/٤، تح/ محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٠٥هـ، وتفسير الماوردي: ٣٢٤/٢، وزاد المسير: ٢١٥/٢، والبحر المحيط: ٣٣٢/٥، وهو من الاستعارة يعني: استعار للدولة الريح بعد ما شُبهت الدولة في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح، ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ادعاء، وأطلق اسم المشبه به على المشبه المتروك، فقيل: هبت رياح فلان: إذا دالت له الدولة. قال:

إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنمْها فإنَّ لكل خافقة سكون

==

الدّولة. ويقال: الريحُ له اليوم، يُرادُ له الدَّولةُ[١]، وبمثله قال التستري[٢]، والسجستاني[٣]، وقال النحاس: والمعروف في اللغة أنه يقال: ذهبت ريحهم، أي: دولتهم[٤]، وهذا القول عند الرازي أَقْوَى[٥].

الثالث: الريح يراد بها في هذا الموضع القوة والغَلَبة والبأس، فيكون المعنى: وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل، قاله الطبري[٦]، ووافقه الزجاجُ، وغلامُ ثعلب، والخطابي، والجوهري، وابن فارس، وابن

==

ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): ١٢٣/٧، تح/ إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، وقال صاحب المنار: وَتُسْتَعَارُ لِلْقُوَّةِ وَالْغَلَبَةِ إِذْ لَا يُوجَدُ فِي الْأَجْسَامِ أَقْوَى مِنْهَا، فَإِنَّهَا تُهَيِّجُ الْبِحَارَ، وَتَقْتَلِعُ أَكْبَرَ الْأَشْجَارِ، وَتَهْدِمُ الدُّورَ وَالْقِلَاعَ، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: ٢٣/١٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، وقال الطاهر بن عاشور: وَالرِّيحُ حَقِيقَتُهَا تَحَرُّكُ الْهَوَاءِ وَتَمَوُّجُهُ، وَاسْتُعِيرَتْ هُنَا لِلْغَلَبَةِ، وَأَحْسَبُ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ هُوَ أَنَّ الرِّيحَ لَا يُمَانِعُ جَرْيَهَا وَلَا عَمَلَهَا شَيْءٌ فَشُبِّهَ بِهَا الْغَلَبُ وَالْحُكْمُ، ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٣١/١٠، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ.

(١) غريب القرآن لابن قتيبة: ١٧٩، والغريبين للهروي: ٧٨٦/٣.

(٢) تفسير التستري: ٧٢/١، تح/ محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) غريب القرآن للسجستاني: ١٤١.

(٤) معاني القرآن للنحاس: ١٦٢/٣.

(٥) تفسير الفخر الرازي: ٤٨٩/١٥.

(٦) تفسير الطبري: ٥٧٥/١٣.

منظور[١]، وأصله: أنَّ الريح إذا كانت في الحرب من جهة صف، كانت في وجوه أعدائهم فمنعتهم بما يريدون فخذلوا، فصارتْ كأنها قوة من أتت من عنده[٢].

وإلى ذلك مال الشعراوي بقوله: ونحن نأخذ كلمة الريح على أنها الهواء، ولكن الريح هي القوة؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦] يعني قوتكم، أي أن النزاع إنما ينتج عنه تبديد القوة، ونظيره قول الله: ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣] أي أنَّ الله حين يشاء يعطل القوة المحركة لأي شيء فهو سبحانه يفعل[٣].

الغريبُ وموقفُ العلماء منه:

أنَّ الريح هنا على حقيقتها، وهي ريح النصر التي يرسلها الله (ﷻ) لنصر أوليائه وهلاك أعدائه، قال قتادة: هي رِيحُ النَّصْرِ الَّتِي يَبْعَثُهَا اللَّه مَعَ مَنْ يَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ يَخْذُلُهُ[٤]، وهو ما ذهب إليه مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ أنَّ الريحَ هنا على بابها، وهي ريحُ الصبا؛ لأنَّ النبي (ﷺ) قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا،

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٢٥/٢، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب: ٢٣٩، تح/ محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم- السعودية/ المدينة المنورة ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، وغريب الحديث للخطابي: ٣٨٨/٢، والصحاح (ر و ح): ٣٦٨/١، والمقاييس (ر ي ح): ٤٦٤/٢، واللسان (ر و ح): ٤٥٧/٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٢٩٤/٨، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٣) تفسير الشعراوي: ٦٨٨/٢، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

(٤) أحكام القرآن للجصاص: ٢٥١/٤، وتفسير الماوردي: ٣٢٤/٢.

وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»[١]، فلَمْ يَكُنْ نَصْرٌ قَطُّ إلا بِرِيحٍ، رِيحًا يَبْعَثُهَا اللَّهُ تَضْرِبُ وجُوهَ الْعَدُوِّ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قِوَامٌ[٢]، واحتمله الماتريدي فقال: ويحتمل: الريحُ التي بها تُنصرون[٣].

فيما ردَّه ابنُ عطية بأن هذا إنما كان في غزوة الخندق خاصة[٤]، ويُردُّ عليه بعموم النصر بالريح، وَما جاءَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ (رضي الله عنه) قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَكَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ انْتَظَرَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ وَيَنْزِلَ النَّصْرُ[٥].

تعقيب:

ولا تعارضَ بين هذه المعاني، فكلُّها متآزرةٌ، يُعضِّدُ بعضُها بعضًا، ويُفضي الواحدُ منها إلى الآخر، فسياقُ الآيات عن غزوة بدر، وفيها ينهى اللهُ (عز وجل) عباده المؤمنين عن التنازع والفرقة لأنَّ ذلك يذهب قوتهم وبأسهم، فيَضْعُفُوا ويدخلهم الوهنُ والخللُ، ممَّا يترتب عليه ذهابُ نصرهم وظفرهم، فتنقطعُ دولتُهم، فلا يؤيدُهم الله (عز وجل) بريح النصر التي يرسلُها لنصر أوليائه وهلاك أعدائه.

---

(١) تفسير مقاتل: ١١٨/٢، والمحرر الوجيز: ٥٣٧/٢، وزاد المسير: ٢١٥/٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١٧١٢/٥، وتفسير الثعلبي: ٣٦٣/٤، والهداية: ٢٨٣٨/٤، وتفسير الماوردي: ٣٢٤/٢.

(٣) تفسير الماتريدي: ٢٣٣/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٣٧/٢.

(٥) والحديث في مسند الإمام أحمد: ١٥٣/٣٩، تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧- من قول الله (تعالى): ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ ﴾ [هود: ٥]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾ أي: يَطْوُونها ويَعْطِفُونَها على الكفر وعداوة محمد (ﷺ)، وعلى حديث النفس.

الغريب: معنى ﴿ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾ ولَّوْا ظُهُورَهم"(١).

وأصلُ هذا الحرف في اللغة من الثَّنْي وهو ضمُّ واحدٍ إلى واحدٍ(٢)، وَأَصله من: ثَنَيْتُ الشَّيءَ، إِذا حَنَيْته وعَطَفته وطَوَيْته، واثْنَوْنى صَدْرُه على البَغضاء، أَي انْحنَى وانطوى، وكُلُّ شَيْءٍ عَطَفْته فقد ثَنَيْته(٣).

وقد اختلف العلماء في المراد منه:

فذهب بعضهم إلى أنه مادي، قال مقاتل: ﴿ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾ يعني: يلوون، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن نكسوا رءوسهم على صدورهم، كراهية استماع القرآن؛ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ يعني: من النبي (ﷺ)(٤).

وقيل: كان بعضُهُمْ ينحني على بعض ليكلمه سرًّا، وبلغ من جهلهم أنْ توهَّموا أنَّ ذلك يَخْفى على الله (ﷻ)(٥)، يقولُ مكي: وهو فعل المنافقين، كانوا إذا مروا بالنبي (ﷺ) يَثْنِي أحدُهُمْ صدره، ويُطأطئُ رأسه(٦).

ورأى بعضهم أنه معنوي، واختلفوا فيما يخفونه:

---

(١) غرائب التفسير للكرماني: ٤٩٨/١.

(٢) التفسير البسيط: ٥٧٠/٢.

(٣) التهذيب (أبواب الثلاثي المعتل من حرف الثاء: باب الثاء والنون): ٩٧/١٥، واللسان (ث ن ي): ١١٦/١٤.

(٤) تفسير مقاتل: ٢٧١/٢، وتفسير السمرقندي: ١٣٨/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس: ١٦١/٢.

(٦) الهداية: ٣٣٤٦/٥.

الأول: أنهم يَثنون صدورهم على الكفر ليستخْفُوا من الله (تعالى)، فقَالَ الْحَسَنُ: يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ؛ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ بِذَلِكَ؛ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ (ﷻ) لَا يَعْلَمُ الَّذِي يَسْتَخْفُونَ بِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ(١)، وحكاه ابن الجوزي عن مجاهد(٢)، وهذا الوجه عند الشوكاني أَوْلَى، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ﴾ أَيْ: لِيَسْتَخْفُوا مِنَ اللَّهِ فَلَا يُطْلِعُ عَلَيْهِ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَوْ: لِيَسْتَخْفُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)(٣).

الثاني: يَثْنُونَها على عداوة النبي (ﷺ) ليُخفوها عنه، فعن ابن عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما): يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة(٤)، ويؤيده أن الآية نزلت فِي بعض مَن كَانَ يَلْقَى النَّبِيّ (ﷺ) بِما يُحبُّ، وينطوي لَهُ على العداوة والبغض، فذلك الثَّنْيُ هُوَ الإخفاء، وبين الله (ﷻ) أنه يعلم ما يُخفونَ من عداوة مُحَمَّد (ﷺ)(٥)، ووافقهم الزجاج(٦)،

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ٢٧٨/٢، تح/ أبو عبدالله حسين بن عكاشة، الناشر: الفاروق الحديثة– مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) زاد المسير: ٣٥٨/٢.

(٣) فتح القدير: ٥٤٦/٢.

(٤) تفسير الماتريدي: ٩٧/٦، تفسير الثعلبي: ١٥٧/٥.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٣/٢، والتهذيب (أبواب الثلاثي المعتل من حرف الثاء: باب الثاء والنون): ٩٧/١٥، وتفسير الماوردي: ٤٥٧/٢، والتفسير البسيط: ٣٤٩/١١، واللسان (ث ن ي): ١١٦/١٤.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٨/٣، وتفسير الماوردي: ٤٥٧/٢، والتفسير البسيط: البسيط: ٣٤٩/١١.

والسجستاني[١]، والأزهري[٢]، وأبو عبيد الهروي[٣]، والبغوي[٤]، وابن الجوزي[٥].

وحكى الطبري عن بعضهم: أنَّ هذا إخبارٌ من الله لنبيّه (ﷺ) عن المنافقين الذين كانوا يُضمرون له العداوة والبغضاء، ويُبدون له المحبة والمودة، أنهم معه وعلى دينه، يقول جل ثناؤه: ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله، ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم[٦].

وعلانيتهم[٦].

الثالث: يَثْنُونها على ما أضمروه من حديث النفس ليخفوه عن الناس، قال مجاهد: يَثنون صدورهم شكًّا وامتراءً ليستخفوا منه، أي: من الله إن استطاعوا[٧].

---

(١) غريب القرآن للسجستاني: ٥١٠.

(٢) الزاهر للأزهري: ٢٧٤، والتهذيب (أبواب الثلاثي المعتل من حرف الثاء: باب الثاء والنون): ٩٧/١٥.

(٣) الغريبين للهروي: ٢٩٨/١.

(٤) تفسير البغوي: ٤٣٩/٢.

(٥) زاد المسير: ٣٥٨/٢.

(٦) تفسير الطبري: ٢٣٥/١٥، ويعني بالمنافقين: كفار قريش، لا المنافقين من أهل المدينة؛ لأن السورة مكية، ينظر: الهداية: ٣٣٤٦/٥، ونَزَلَتْ في الأخنس بن شريق؛ وكان رجلًا حلو المنطق، يَلْقَى رسولَ الله (ﷺ) بما يحب، وينطوي له على ما يكره، ويضمر في قلبه خلاف ما يظهر، ينظر: التفسير البسيط: ٣٤٩/١١، وتفسير القرطبي: ٥/٩.

(٧) معاني القرآن للنحاس: ٣٢٩/٣، وتفسير الماوردي: ٤٥٧/٢.

الرابع: يَزْوَرُّون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأنَّ مَنْ أقبلَ على الشيء استقبله بصدره، ومن ازْوَرَّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره، وطوى عنه كشحه(١).

الغريب وموقف العلماء منه:

وأما ما عدَّه الكرماني غريبًا وهو أنَّ ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يعني: يولون ظُهُورَهم، فقد أكده الطبري بأن ذلك كان من فعل بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله (ﷺ) غطَّى وجهه وثَنَى ظهره(٢)، وقال ابنُ عطية: نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسولُ الله (ﷺ) تطامنوا وثنوا صدورهم كالمستتر، وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدًا منه وكراهة للقائه، وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله (ﷻ)(٣)، وقال الرازي: رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْكُفَّارِ كَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) ثَنَى صَدْرَهُ وَوَلَّى ظَهْرَهُ وَاسْتَغْشَى ثِيَابَهُ، وَالتَّقْدِيرُ كَأَنَّهُ قيل: إنهم ينصرفون عَنْهُ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ، لِئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) وَمَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ، وَلِيَقُولُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الطَّعْنِ(٤)، وقال البيضاوي: يولون ظهورهم(٥).

وحين يَثني الإنسانُ صدره، فهو يَثنيه إلى الأمام ناحية بطنه، ويُداري بذلك وجهه، والغرضُ هنا من مداراةُ الوجه هو إخفاءُ الملامح؛ لأنَّ انفعال كوامن النفس البشرية ينضح على الوجوه، وهم كارهون للرسول (ﷺ)،

(١) الكشاف: ٣٧٨/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٣/١٥.
(٣) المحرر الوجيز: ١٥٠/٣، وباهر البرهان للنيسابوريّ: ٦٥٢/٢.
(٤) تفسير الفخر الرازي: ٣١٧/١٧.
(٥) تفسير البيضاوي: ١٢٨/٣.

وحاقدون عليه؛ ولا يريدون أن يلحظ الرسول (ﷺ) ما على ملامحهم من انفعالات تفضح نفوسهم الكارهة(١).

تعقيب:

وكلُّ هذه الأقوال: اسْتِعَارَةٌ لِلْغِلِّ وَالْحِقْدِ الَّذِي كَانُوا يَنْطَوُونَ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ: فُلَانٌ يَطْوِي كَشْحَهِ عَلَى عَدَاوَتِهِ، وَيَثْنِي صَدْرَهُ عَلَيْهَا(٢)، ونظيره قولُ الله عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]، وعن قوم نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

ولذا عدَّ الزمخشري تولية الظهر لونًا من عدم قبول الحق؛ لأنَّ مَنْ أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازورَّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه(٣)، وهو دليل الْإِعْرَاضِ التَّامّ، وَالِاسْتِدْبَارِ لِلرَّسُولِ (ﷺ) عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ ثَنْيِ الْعِطْفِ وَالْجَانِبِ، وهو تَصْوِيرٌ لِمَا كَانَ يُحَاوِلُهُ بَعْضُ الْكُفَّارِ، ثُمَّ الْمُنَافِقِينَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنَ الِاسْتِخْفَاءِ بِتَنْكِيسِ الرَّأْسِ، وَثَنْيِ الصَّدْرِ عَلَى الْبَطْنِ كَمَا يُطْوَى الثَّوْبُ، حَتَّى يَخْفَى فَاعِلُهُ بَيْنَ الْجَمْعِ، خَجَلًا مِمَّا فِيهِ مِنَ الْقَرْعِ وَالصُّدَاعِ، فَالْمَعْنَى: أَلَا إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ

(١) تفسير الشعراوي: ١٠/ ٦٣١٦.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٥٠، والبحر المحيط: ٦/١٢٣.

(٣) الكشاف: ٢/٣٧٨، وتفسير النسفي: ٢/٤٧، والبحر المحيط: ٦/١٢٣.

الْكَارِهِينَ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ يَحْنُونَ ظُهُورَهُمْ وَيُنَكِّسُونَ رُءُوسَهُمْ كَأَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ طَيَّ صُدُورِهِمْ عَلَى بُطُونِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَعْنًى بَلِيغٌ وَوَاقِعٌ[١].

٨- من قول الله (ﷻ): ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود: ٧١]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي سرورًا بالأمر، وقيل: فيه تقديم، أي بشرناها بإسحق فَضَحِكَتْ سرورًا بالولد.

الغريب: ضَحِكَتْ: حاضتْ، مِنْ ضَحِكَتِ الأرنبُ، وضَحِكَتِ الثمرةُ إذا سالتْ منها صبغةٌ تشبه الدم"[٢].

استفتح الكرماني نصه السابق بأن الضحك في الآية الكريمة على حقيقته، وللعلماء أقوالٌ متعددةٌ في ذلك:

الأول: أنَّ الضحكَ هنا هو المعروف، حين بُشِّرتْ بإسحاقَ، تعجبًا من أن يكون لها ولدٌ على كبر سنها وسن زوجها، قاله الطبري[٣]، ونصَّ عليه الفراء[٤]، والزجاج [٥]، والماتريدي[٦].

(١) تفسير المنار: ١٠/١٢.
(٢) غرائب التفسير للكرماني: ٥١٢/١، ٥١٣.
(٣) تفسير الطبري: ٣٨٩/١٥.
(٤) معاني القرآن للفراء: ٢٢/٢.
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦١/٣.
(٦) تفسير الماتريدي: ١٥٦/٦

وعدَّه ابنُ قتيبة من المقدّم والمؤخّر، فيكونُ معنى: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾، أي: بشرناها بإسحاق فضحكت بالبِشَارة(١).

الثاني: ذكره السمين الحلبي، وهو أن الضحك هنا بمعنى التعجب، ويدل علي ذلك قوله (تعالي): ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢](٢)، وتبعه الفيروزآبادي(٣).

وسبب التعجب كما قال مجاهد أنها كانت ابنة بضع وتسعين سنة، وكان إبراهيم ابن مائة سنة(٤).

يقول الماوردي: وقد يسمى التعجب ضحكًا لحدوث الضحك عنه، ومنه قول أبي ذؤيب:

فجاءَ بِمزْجٍ لم يَرَ الناسُ مثلَهُ هو الضَّحْكُ إلَّا أنَّه عَمَلُ النَّحْلِ(٥).

(١) تأويل مشكل القرآن: ١٣٠، والتهذيب (أبوب الثلاثي الصحيح من حرف الحاء: باب الحاء والكاف): ٥٦/٤.

(٢) عمدة الحفاظ: ٣٧٠/٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٦١/٣، تح/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) تفسير الطبري: ٣٩٢/١٥، والغريبين للهروي: ١١١٥/٤، وتفسير الثعلبي: ١٧٨/٥، ١٧٨/٥، وتفسير الماوردي: ٤٨٤/٢.

(٥) تفسير الماوردي: ٤٨٤/٢، والبيت من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي كما في الجمهرة (باب الحاء والضاد مع الكاف): ٥٤٥/١، والتهذيب (أبوب الثلاثي الصحيح من حرف الحاء: باب الحاء والكاف): ٥٦/٤.

ووضح الراغب أنَّ ضَحِكهَا كان للتّعجّب بدلالة قوله: ﴿ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ [هود/ ٧٣]، ويدلُّ على ذلك أيضًا قوله: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [هود/ ٧٢][١].

ومال إليه الطبري، وعده أولى الأقوال بالصواب وهو أن معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه[٢].

الغريب وموقف العلماء منه:

وحكى الكرماني أن من الغريب تفسير ضَحِكَتْ بمعنى حاضت، وقاله: ابْنُ عَبَّاسٍ[٣]، وعِكْرِمةُ[٤]، وقتادةُ[٥]، وأحمد بن حنبل[٦]، والخليل[٧]، وابنُ سيده[٨]، والزمخشري[٩]، وابنُ منظور[١٠].

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني: ٥٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٩٢/١٥.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٥٥/٦، وتفسير الماتريدي: ١٥٦/٦،

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٠٥، وتفسير الماتريدي: ١٥٦/٦، وتفسير السمرقندي: ١٦١/٢، وتفسير الثعلبي: ١٧٨/٥.

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤١١/١، تح/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٦) الجامع لعلوم الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: خالد الرباط، وآخرين: ٤٦٠/١٣، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث- الفيوم، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٧) العين (باب الحاء والكاف والضاد معهما): ٥٨/٣، والتهذيب (أبوب الثلاثي الصحيح من حرف الحاء: باب الحاء والكاف): ٥٦/٤، والمخصص: ٦٨/١.

(٨) المحكم (باب الحاء والكاف والضاد): ٣٣/٣، والمخصص: ٦٨/١.

(٩) الكشاف: ٤١٠/٢.

(١٠) اللسان: ٤٦٠/١٠.

واستشهد عليه العوتبي بقول الشاعر:

وإني لآتي العِرْسَ عِنْدَ طُهورِها وأهْجُرُها يَوْمًا إذا تَكُ ضاحِكا[١]

بينما أنكره الفراءُ بقوله: وأما قولُهُ (فَضَحِكَتْ): حاضتْ فلمْ نسمعْهُ من ثقة[٢]، ثقة[٢]، وتبعه الزجاجُ قائلًا: ضحكت: حَاضَتْ فليس بشيء[٣]، وقَالَ ابن دريد: لَيْسَ فِي كَلَامهم ضحِكت فِي معنى حَاضَت إِلَّا فِي هَذَا[٤].

ووصفه ابنُ عطية بالضعف فقال: وهذا القولُ ضعيفٌ قليلُ التمكن، وقد أنكر بعضُ اللغويين أنْ يكونَ في كلام العرب ضحكت بمعنى: حاضت[٥].

تعقيب:

والحقُّ أنه لَيْسَ فِي كَلَام الْعَرَب ضحِكت إِلَّا من الضحك، الَّذِي هُوَ ضد الْبكاء، كما قال ثعلب[٦]، وعليه فإننا نُسلِّمُ للتفسير كَمَا جَاءَ، وأما ما ذهب إليه بعض اللغويين من أن ضحكت بمعنى حاضت، فليس ذلك

(١) الإبانة للعوتبي: ٤١٢/٣، والبيت من الطويل، ولم أقف عليه، والعِرْسُ بالكسر: امرأةُ امرأةُ الرجل، ينظر: الصحاح (ع ر س): ٩٤٧/٣.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢٢/٢، وتفسير الطبري: ٣٩٢/١٥، والمحتسب: ٣٢٣/١، والتفسير البسيط: ٤٧٤/١١، وزاد المسير: ٣٨٦/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٦١/٣، والتهذيب (أبوب الثلاثي الصحيح من حرف الحاء: باب الحاء والكاف): ٥٦/٤، والتفسير البسيط: ٤٧٤/١١.

(٤) الجمهرة (باب الحاء والضاد والكاف): ٥٤٦/١.

(٥) المحرر الوجيز: ١٨٩/٣.

(٦) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب: ص ٢٦٦ وما بعدها، والتهذيب (أبوب الثلاثي الصحيح الصحيح من حرف الحاء: باب الحاء والكاف): ٥٦/٤، والمحتسب: ٣٢٣/١، واللسان (ض ح ك): ٤٦٠/١٠.

تفسيرًا، وإنّما ذكر ذلك تنصيصًا لحالها، وأنّ الله (ﷻ) جعل ذلك أمارة لما بشّرت به، فحاضت في الوقت ليعلم أنّ حملها ليس بمنكر، إذ كانت المرأة ما دامت تحيض فإنها تحبل(١).

وهو ما يستفاد من كلام الماوردي، حينما قال: وفي سبب حيضها وجهان:

أحدهما: أنه وافق وقت عادتها فخافت ظهور دمها وأرادت شداده فتحيرت مع حضور الرسل.

والقول الثاني: ذعرت وخافت لرعبها مما سمعت من عذاب القوم فتعجل حيضها قبل وقته، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع.

ويحتمل قولًا ثالثًا: أن يكون الحيض بشيرًا بالولادة؛ لأنَّ من لم تحض لا تلد(٢).

وخرَّجه أبو البقاء على أنَّ ضَحَك هنا بالفتح، وهو مختص بالحيض، يقال: ضحَكت الأرنب بفتح الحاء(٣)، وقد يؤيده قراءة محمد بن زياد الأعرابي بفتح الحاء، قال السمين الحلبي: وهما لغتان، يقال: ضَحِك وضَحَكَ(٤).

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني: ٥٠٢، وتفسير الخازن: ٤٩٣/٢، وعمدة الحفاظ: ٣٧٠/٢، وبصائر ذوي التمييز: ٤٦١/٣.

(٢) تفسير الماوردي: ٤٨٤/٢، وباهر البرهان للنيسابوريّ: ٦٧١/٢.

(٣) الدر المصون: ٣٥٤/٦.

(٤) الدر المصون: ٣٥٤/٦، وهو أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، مولى العباس بن محمد بن علي بن العباس، كان نحويًّا كثير السماع، راوية لأشعار القبائل، كثير الحفظ، لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، توفي سنة ٢٣١هـ، ينظر: طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الإشبيلي: ١٩٥- ١٩٧، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، الناشر: دار المعارف ضمن سلسلة ذخائر العرب.

المبحث الثاني: ما سببُ غرابته اختلافُ اللهجات.

من قول الله (ﷻ): ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ [هود: ٦٢]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾: أي: كنا نرجو أن تكون لنا سيدًا.

وقيل: كنا نرجو أن تعود إلى ما نحن فيه؛ لأنه كان قبل ذلك لا يعبدُ الأصنام، ولا ينهاهم عن العبادة.

الغريب: (مَرْجُوًّا) أي: حقيرًا"(١).

وبالنظر في كتب التفسير واللغة والمعاجم يتضح لنا أنَّ (مَرْجُوًّا) من حيث المعنى اللغوي فيها أقوال:

الأول: جمهور المفسرين على أنَّ قوله: مَرْجُوًّا معناه: أنهم كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم؛ لأنه كان من قبيلتهم وكان ذا حسب وثروة، ويعين ضعيفهم ويغني فقيرهم، أي: كنا نرجو أن تكون فينا سَيِّدًا مُطَاعًا سادًّا مسدَّ الأكابر، ومستشارًا في أمورنا؛ نَنْتَفِعُ بِرَأْيِكَ، وَنَسْعَدُ بِسِيَادَتِكَ قَبْلَ هَذَا الَّذِي أَظْهَرْتَهُ، مِنِ ادِّعَائِكَ النُّبُوَّةَ، وَدَعْوَتِكَ إِلَى التَّوْحِيدِ، لما كنتَ عليه من الأحوال الجميلة، فالآن أَيِسْنَا منك إذْ أظهرت خلافنا(٢).

---

(١) غرائب التفسير للكرماني: ٥٠٩/١.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٩/١٥، والتفسير البسيط: ٤٥٥/١١، وتفسير البغوي: ٤٥٤/٢، وتفسير النسفي: ٧٠/٢، والمحرر الوجيز: ١٨٣/٣، وزاد المسير: ٣٨٢/٢، وتفسير القرطبي: ٥٩/٩.

كأنهم كانوا يرجون خيره، يقولون: إِنَّكَ كُنْتَ تَعْطِفُ عَلَى فُقَرَائِنَا وَتُعِينُ ضُعَفَاءَنَا وَتَعُودُ مَرْضَانَا فَقَوِيَ رَجَاؤُنَا فِيكَ أَنَّكَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَحْبَابِ، فكنا نرجوك فاضلًا خيرًا نقدّمك على جميعنا، فَكَيْفَ أَظْهَرْتَ الْعَدَاوَةَ وَالْبِغْضَةَ، فلما أنذرهم، زعموا أن رجاءهم لخيره قد انقطع(١)، كأنهم يقولون: كانت تلوح فيك مخايلُ الخير وأماراتُ الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك، وتكون مشاورًا في الأمور ومسترشدًا في التدابير، فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك(٢).

وكان نبيُّ الله صالحٌ (عليه السلام) معروفًا قبل الرسالة بالكمال الإنساني، كما كان محمد (ﷺ) معروفًا بأنه الصادق الأمين، أي: كنت فينا مرجو الخير محمود الخصال والفعال، وكأنهم يحسبون أنه ينبغي أن يفعل ما هو على هواهم ويردد مقالاتهم ويعبد ما يعبدون(٣).

الثاني: أنه (عليه السلام) كان يُبغض أصنامهم ويَعْدِلُ عن دينهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، وذلك أَنَّهُ لَمَّا كَانَ رَجُلًا قَوِيَّ الْعَقْلِ قَوِيَّ الْخَاطِرِ وَكَانَ مِنْ قَبِيلَتِهِمْ، قَوِيَ رَجَاؤُهُمْ فِي أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُمْ وَيُقَوِّيَ مَذْهَبَهُمْ وَيُقَرِّرَ طَرِيقَتَهُمْ؛ لِأَنَّهُ مَتَى حَدَثَ رَجُلٌ فَاضِلٌ فِي قَوْمٍ طَمِعُوا فِيهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، فلما أظهر إنذارهم، انقطع رجاؤهم منه، وإلى نحو هذا ذهب مقاتل(٤).

---

(١) الكشاف: ٤٠٧/٢، وتفسير الماوردي: ٤٧٩/٢، وزاد المسير: ٣٨٢/٢، وتفسير الرازي: ٣٦٨/١٨.

(٢) الكشاف: ٤٠٧/٢، وفتوح الغيب للطيبي: ١٢٠/٨.

(٣) زهرة التفاسير: ٧/ ٣٧٢٤.

(٤) زاد المسير: ٣٨٢/٢، وينظر: تفسير مقاتل: ٢٨٨/٢، وتفسير الرازي: ٣٦٨/١٨، والبحر المحيط: ١٧٥/٦،

والثالث: كنت مَرْجُوًّا فينا بالعقل والدِّين والعلم والبصيرة ونحوه، فالساعةَ صرت تُسَفِّهُ أحلامنا، وتشتم آلهتنا وتذكرها بعيب[١]، فكنا نرجو أن ترجع إلى ديننا قبل أن تدعونا إلى دينٍ غيرِ دين آبائنا[٢].

الغريب وموقف العلماء منه:

أشار الكرماني إلى أن لفظ (مَرْجُوًّا) معناه: حقيرًا، ووصف ذلك بالغرابة، وما عده الكرماني غريبًا ذكره أبو عُبيد بقوله: إنَّ (مرجوًّا) تعني حقيرًا بلغة حمير[٣]، وهو ما أكَّده ابنُ حسنون في اللغات في القرآن[٤].

واحتمله الماوردي بالمعنى، فقد ذهب إلى أن (مرجوًّا) يعني حقيرًا، على اعتبار أنها مأخوذة من الإرجاء وهو التأخير، فيكون زجرًا[٥]، وتبعه السيوطي[٦].

تعقيب:

والحقُّ أن لا علاقة بين اللفظين: (مرجوًّا) و(حقيرًا)، ممَّا جعل ابنَ عطية يردُّ هذا التفسير الغريب بقوله: فأمَّا أن يكون لفظ (مَرْجُوًّا) بمعنى حقير فليس ذلك في كلام العرب، وإنما يتجه ذلك على جهة التفسير للمعنى،

---

(١) تفسير الماتريدي: ١٤٩/٦.

(٢) تفسير السمرقندي: ١٥٨/٢، وتفسير الثعلبي: ١٧٦/٥.

(٣) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد: ٦.

(٤) اللغات في القرآن لابن حسنون بإسناده إلى ابن عباس: ٣١، تح/ صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٥) تفسير الماوردي: ٤٧٩/٢.

(٦) الإتقان للسيوطي: ١١٢/٢، ومعترك الأقران: ١٥٢.

وذلك أن القصد بقولهم: مَرْجُوًّا يعني: لقد كنت فينا سهلًا هينًا قريبًا منا، نرجوك في كل خير، ولكنك أظهرت عكس ذلك، فإننا نطرح أمرك، ولا نبالي بك، فيكون ذلك على جهة الاحتقار، فلذلك فسر بحقير[١]، فكأن (مرجوًّا) هنا ليست من الرجاء والأمل في خيره، وإنما من الإرجاء والتأخير، فيكون معناها: مُرْجَأً مُؤَخَّرًا غيرَ مُعتنًى به ولا مُهتمًّا بشأنه[٢]، وربما يؤيد هذا الرأي قراءة طلحة (مرجوءًا) بالمد والهمز[٣].

(١) المحرر الوجيز: ١٨٣/٣ بتصرف واسع، البحر المحيط: ١٧٦/٦،

(٢) تفسير الآلوسي: ٢٨٧/٦.

(٣) تفسير الآلوسي: ٢٨٧/٦، وتفسير أبي السعود: ٢٣٦/٤.

المبحث الثالث: ما سببُ غرابته العجمةُ.

١- من قول الله (ﷻ): ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١]، يقول الكرماني: "قوله: ﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ سبق بيانه في "لباب التفاسير".

الغريب: الجبت، الجِبْس، وهو الذي لا خير فيه، قلبت السين تاء. والجبت مهمل"(١).

لم يذكر الشيخ الكرماني معنى (الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) مكتفيًا ببيانه في كتاب آخر، وركز الحديث هنا على ما ورد غريبًا في معنى الكلمة، وهو أن الجبت معناه: الجِبْس، وهو الذي لا خير فيه، وقد قلبت سينه تاءً، وأما الجبت فمهمل غير مستعمل عند العرب، وللعلماء في هذا أقوال:

الأول: فريق من العلماء على أن (الْجِبْت) لَيْسَ مِنْ مَحْضِ الْعَرَبِيَّةِ، وحُجَّتُهم اجْتِمَاعُ الْجِيمِ وَالتَّاءِ فِي كَلِمَةٍ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ ذَولَقِيّ، ذهب إلى ذلك الْجَوْهَرِيُّ(٢)، وتبعه ابن منظور، وابن كثير، والسيوطي، والزبيدي(٣).

وقال الشيخ الطاهر: وَالْجِبْتُ: كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ مِنَ الْحَبَشِيَّةِ، أَيِ: الشَّيْطَانُ وَالسِّحْرُ؛ لِأَنَّ مَادَّةَ: (ج ب ت) مُهْمَلَةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَتَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ دَخِيلَةً(٤).

---

(١) غرائب التفسير للكرماني:١/٣٠٠.

(٢) الصحاح (ج ب ت): ١/٢٤٥.

(٣) اللسان (ج ب ت): ٢/٢١، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٣٤، والإتقان: ٢/١٣٢، والتاج (ج ب ت): ٤/٤٨٠.

(٤) التحرير والتنوير: ٥/٨٥.

الثاني: يرى أنَّ الجبت ليس مهملًا، فذكر الخليل في مادة (ج ب ت): الجِبتُ يفسَّر الكاهن، ويفسر الساحر[١]، ونصَّ الأزهري على أن الجيم والتاء والباء: اسْتعْمل من وجوهها: (ج ب ت)، و(ت ج ب)[٢]، فهي -إذن- مستعملة.

وعَنْ عُمَرَ وأَبِي الْعَالِيَةِ وَمُجَاهِدٍ وَالشَّعْبِيِّ فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ، وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْجِبْتُ: السِّحْرُ[٣]، وهي بلسان الحبشة كما ذهب ابْن عَبَّاس[٤]، وعِكْرِمَةُ[٥]، وسعيدُ بنُ جُبير وأبو العالية[٦].

وقد اختلف في دلالتها عند العلماء:

فجمهورُ العلماء على تعميم الدلالة: بأنها كلُّ معبود من حجرٍ أو مَدَرٍ أو صورةٍ أو شيطانٍ فهو جبتٌ وطاغوتٌ، قاله أبو عبيدة[٧]، ووافقه ابن قتيبة،

(١) العين (باب الجيم والتاء والباء معهما): ٩٣/٦.

(٢) التهذيب (كتاب الباء باب الجيم والتاء): ٨/١١.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٩٧٤/٣، والتهذيب (كتاب معتل حرف الغين، باب الغين والطاء): ١٥٣/٨، وتفسير السمعاني ٤٣٥/١، وتفسير البغوي: ٦٤٥/١.

(٤) تفسير السمعاني: ٤٣٦/١، والمحرر الوجيز: ٦٦/٢، وتفسير القرطبي: ٢٤٨/٥، والإتقان: ١٣٢/٢.

(٥) صحيح البخاري: ٤٥/٦، والإتقان: ١٣٢/٢.

(٦) تفسير الثعلبي: ٣٢٧/٣، وتفسير البغوي: ٦٤٥/١، والمحرر الوجيز: ٦٦/٢، وزاد المسير: ٤١٩/١، وتفسير القرطبي: ٢٤٨/٥.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيد: ١٢٩.

والطبري، والزجاج، وابن المنذر، والهروي، والواحدي، والزمخشري[١]، ومن أصحاب المعاجم: ابن دريد، والجوهري، وابن فارس، وابن منظور[٢]، وذهب الفخر الرازي إلى أنهُمَا كَلِمَتَانِ وُضِعَتَا عَلَمَيْنِ عَلَى مَنْ كَانَ غَايَةً فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ[٣].

بينما خصص الأزهري دلالة الجبت والطاغوت بحُيَيّ بن أَخطب وَكَعب بن الأشرفِ اليهوديَّينِ، قال: وَهَذَا غيرُ خَارج مِمَّا قَالَ أهلُ اللغةِ؛ لأَنهم إذا اتَّبعوا أَمرهمَا فقد أطاعوهما من دونِ الله[٤]، وقال الواحدي: سُمِّيَا بذلك لإغوائهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله تعالى[٥].

وعده الراغب من انتقال الدلالة فقال: الجبتُ والطاغوتُ: في الأصل اسمان لصنمين، ثم صارا يستعملان في كُل باطل، ولذلك قيل: ما عُبِدَ من دون الله فهو طاغوت[٦]، ووافقه البيضاوي[٧].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ١٢٨، وتفسير الطبري: ٤٦١/٨ وما بعدها، ومعاني القرآن للزجاج: ٦١/٢، وتفسير ابن المنذر: ٧٤٧/٢، والغريبين للهروي: ٣٠٩/١، والتفسير الوسيط: ٦٦/٢، والكشاف: ٥٢١/١.

(٢) الجمهرة (باب الباء والتاء والجيم): ٢٥٢/١، والصحاح (ج ب ت): ٢٤٥/١، والمقاييس (ج ب ت): ٥٠٠/١، واللسان (ج ب ت): ٢١/٢.

(٣) تفسير الرازي: ١٠١/١٠.

(٤) التهذيب (كتاب معتل حرف الغين، باب الغين والطاء): ١٥٣/٨.

(٥) التفسير الوسيط: ٦٦/٢.

(٦) المفردات للراغب الأصفهاني: ١٢٧٢/٣.

(٧) تفسير البيضاوي: ٧٨/٢.

الغريبُ وموقفُ العلماء منه:

ونحا فريقٌ بالكلمة منحًى آخرَ، وهو ما عدَّهُ الكرمانيُّ غريبًا:

فذهب قطرب إلى أن الْجِبْت أصله الجبس؛ لأنَّ مادة (جَ بَ تَ) مهملةٌ، ومعناه: الثقيل الذي لا خير عنده، وهُوَ الْخَبِيثُ الرَّدِيءُ(١)، وأكد السمين الحلبي على أن ثمَّت إبدالًا وقع بين السين والتاء، كالنات والأكيات وست في: الناس والأكياس وسِدْس، فيُقال: رجلٌ جِبْسٌ وجِبْتٌ أي: رَذْل(٢)، وهو ما أكده الثعلبي(٣)، والراغب الأصفهاني(٤).

وللدكتور جبل رأيٌ جديدٌ يربطُ فيه بين المعنى العام والمعنى الخاص، فبعد أن نصَّ على أن الجبت: كلُّ ما عُبِد من دُون الله، أو هي كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، راح يقول: وبالنظر إلى عدم ورود استعمالات للتركيب غير ما سبق تفسيرها به، ولتفسيرها بصنم خاص أو عامّ، ولِما قيل من أن التاء فيها مبدلة من سين والأصل (الجبس) فإنني أرى تفسيرها بالجبس الذي يُبْنَى به، ويكون معناها: الحجر وما يئول إليه، والمراد الصنم أو الأصنام التي تُسَوّي من الجص، وهذا يكشف غموض الكلمة،

---

(١) المحرر الوجيز: ٦٦/٢، وتفسير الرازي: ١٠١/١٠، وتفسير القرطبي: ٢٤٨/٥، والدر المصون: ٥/٤، وعمدة الحفاظ: ٢٩٩/١، وفتح القدير: ٥٥١/١.

(٢) الدر المصون: ٥/٤، وعمدة الحفاظ ٢٩٩/١، يقصد قول الشاعر:

يَا لَعَنَ اللَّهُ بَنِي السَّعْلَاتِ
عَمْرو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ
لَيْسُوا أَعِفَّاءَ وَلَا أَكْيَاتِ

(٣) تفسير الثعلبي: ٣٢٧/٣.

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني: ١/ ١٨٢.

ويكون توبيخُ اليهود بهذا أَحَدَّ وأخزى لهم، ومن هذا الأصل يعمم في كل باطل يُتَوهم فيه ما ليس له حقيقة(١).

تعقيب:

والقولُ بأن في الكلمة إبدالًا بين السين والتاء هو الأقربُ إلى القبول، فالعلاقةُ الصوتيةُ بين الحرفين تُجيزُ التبادل بينهما، فبينهما تقاربٌ في المخرج وفي بعض الصفات، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا(٢)، وهو حرفٌ فيه الهمسُ والاستفالُ والانفتاحُ والإصمات(٣)، والسينُ ممَّا بين طرفِ اللسان وفويق الثنايا(٤)، وهي صوتٌ مهموسٌ رخوٌ مستفلٌ منفتحٌ مصمتٌ صفيريٌّ(٥)، فبين الحرفيْن -إذنْ- تقاربٌ في المخرج واتحادٌ في معظم الصفات؛ مما يؤكدُ حدوثَ التبادل بينهما، كما ذهب إليه بعضُ اللغويين.

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل: ٢٧١/١، ٢٧٢، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

(٢) الكتاب لسيبويه: ٤/ ٤٣٣، تح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني: ٦٠/١، ٦١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤ وما بعدها، وسر الصناعة: ٧٥/١- ٧٧، وعلم الصوتيات، د. عبدالله ربيع، ود. عبدالعزيز علام: ٢٧٠، مكتبة الرشد، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٤٩، الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٤م.

(٤) السابقان نفسهما.

(٥) سر الصناعة: ٧٥/١، وما بعدها.

٢- من قول الله (تعالى): ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [الأنعام: ٧٤]

يقول الكرماني: "قوله: (آزَرَ): ظاهرُ القرآن على أنه اسمُ أبيه، وقيل: كان له اسمان، تارح وآزر، كـ يعقوب وإسرائيل، وقيل: نسبته إلى تارح كذب، فإن النبي (ﷺ) قال: "كَذَبَ النسَّابون".

الغريب: آزرُ اسمُ صنم، والتقدير، أتتخذ آزرَ إلهًا، وقيل: شتم، ومعناه المعوج"(١).

(آزَرُ) اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ آزَرَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا عَاوَنَهُ، فَهُوَ مُؤَازِرٌ قَوْمَهُ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَقِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْقُوَّةِ، وَالْأَزْرُ الْقُوَّةُ(٢)، وقال الجواليقي: هو من العجمي الذي وافق لفظ العربي نحو الإزار والإزرة(٣)، وَلَمْ يَنْصَرِفْ لِلْعُجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ عَلَى قَوْلِ مَنْ لَمْ يَشْتَقَّهُ مِنَ الْأَزْرِ أَوِ الْوِزْرِ، وَمَنِ اشْتَقَّهُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَالَ: هُوَ عَرَبِيٌّ، وَلَمْ يَصْرِفْهُ لِلتَّعْرِيفِ وَوَزْنِ الْفِعْلِ(٤).

(١) غرائب التفسير للكرماني: ٣٦٧/١، والحديث لم أقف عليه مرفوعًا إلى رسول الله (ﷺ)، ووجدته موقوفًا على عمر (رضي الله عنه) في تاريخ المدينة لعمر بن شبة: ٧٩٨/٣، تح/ فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد- جدة، ١٣٩٩هـ.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٢/٧، وينظر: الصحاح (أ ز ر): ٥٧٨/٢، والمقاييس (أ ز ر): ١٠٢/١.

(٣) المعرب للجواليقي: ص ٧٧، تح/ أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، ط٢، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

(٤) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٥١٠/١.

والإمام الكرماني يطرح قضية لطالما شغلت العلماء والمفسرين قديمًا وحديثًا، وهي الاختلاف في اسم والد سيدنا إبراهيم (عليه السلام):

فجمهورُ أهل العلم من المفسرين واللغويين على أن آزر: اسمُ والدِ إبراهيمَ (عليه السلام)، كما قال سعيدُ بن جبير والحسنُ والسُّدِّيُّ ومحمدُ بنُ إسحاق والضحاكُ والكلبي والخليلُ وغيرهم(١)، وأكده الزمخشري بقوله: آزَرُ اسم أبى إبراهيم (عليه السلام)، وفي كتب التواريخ أنَّ اسمه بالسريانية تارح(٢).

والحديث يؤكد أنه اسم أبيه، ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ.... الحديث"(٣).

وأكد الفخر الرازي على أَنَّ اسْمَ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) هُوَ آزَرُ، وردَّ ما ذهبَ إليه النسَّابون أَنَّ اسْمَهُ تَارَحَ، وقال: هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُقَلِّدُ بَعْضًا، وإنما تَرْجِعُ أقوالهم إِلَى قَوْلِ الْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ مِثْلُ قَوْلِ وَهْبٍ وَكَعْبٍ وَغَيْرِهِمَا، وَرُبَّمَا تَعَلَّقُوا بِمَا يَجِدُونَهُ مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا عِبْرَةَ بِذَلِكَ فِي مُقَابَلَةِ صَرِيحِ الْقُرْآنِ(٤).

---

(١) العين (باب الزاي والراء والهمزة معهما): ٣٨٢/٧، وإعراب القرآن للنحاس: ١٧/٢، وتفسير الثعلبي: ١٦٠/٤، والهداية: ٢٠٧٣/٣، وتفسير الماوردي: ١٣٤/٢، والتفسير البسيط: ٢٣٤/٨، والبحر المحيط: ٥٦١/٤.

(٢) الكشاف: ٣٩/٢، وتارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة، ينظر: تفسير الخازن: ١٢٥/٢.

(٣) صحيح البخاري: ١٣٩/٤.

(٤) تفسير الرازي: ٣١/١٣.

كما أنكره صاحب المنار قائلًا: وَلَا نَعْرِفُ لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ أَصْلًا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وَلَا مَنْقُولًا عَنِ الْعَرَبِ الْأَوَّلِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْقُولٌ فِيمَا يَظْهَرُ عَمَّنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ اللَّذَيْنِ أَدْخَلَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَثِيرًا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، فَتَلَقُّوهَا بِالْقَبُولِ عَلَى عِلَّاتِهَا(١).

الغريبُ وموقفُ العلماء منه:

وما عده الكرماني غريبًا فهو قولان:

الأول: أن آزر اسم صنم، وأما اسم أبي إبراهيم (عليه السلام) فهو تارح، قاله مجاهد، وعلى ذلك يكون المعنى: أتتخذ آزر أصنامًا؟ فكأنه جعل أصنامًا بدلاً من آزر، والاستفهام معناه الإنكار(٢)، ويَكُونُ إطلاقه عَلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) لِمُلَازَمَتِهِ عِبَادَتَهُ كَمَا أُطْلِقَ عَلَى عُبَيْدِالله بن قيس الرقيات لِحُبِّهِ نِسَاءً اسْمُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رُقَيَّةُ، فَقِيلَ: ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ، وَكَمَا قَالَ بَعْضُهم(٣):

أَدْعَى بِأَسْمَاءَ تَتْرَى فِي قَبَائِلِهَا كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضْحَتْ بَعْضَ أَسْمَائِي

(١) تفسير المنار: ٤٤٦/٧.

(٢) زاد المسير: ٤٦/٢.

(٣) البيت من البسيط، وهو بلا عزو في شرح شافية ابن الحاجب للرضي الإستراباذي: ٢٩٨/٤، تح/ محمد محيى الدين عبدالحميد وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

وَيَكُونُ إِذْ ذَاكَ عَطْفَ بَيَانٍ، أَوْ يَكُونُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ: عَابِدِ آزَرَ، حُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، أَوْ يَكُونُ مَنْصُوبًا بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ أَيْ: أَتَتَّخِذُ آزَرَ[1].

وقال سعيدُ بنُ المسيب: آزرُ اسمُ صنم كان والدُ إبراهيم يعبدُهُ؛ وإنما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسما له فهو كقوله: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ ﴾ [الإسراء: ٧١][2].

وردَّ مكي ذلك بقوله : ومن جعله اسمًا للصّنم فهو بعيد؛ لأنَّ ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه ما بعده، وفتحه على النعت للأب، أو على البدل، وموضعه خفض[3].

والثاني: أنه ليس باسم، إنما هو سبٌّ وعيب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه المُعْوجُّ، كأنه عابه بزيغه وتعويجه عن الحق، ذكره الفراء فقال: وقد بلغني أن معنى (آزر) فِي كلامهم مُعوجٌّ، كأنه عابه بزيغه وبِعِوجه وَانْحِرَافِهِ عَن الحق[4].

---

(١) البحر المحيط: ٥٦١/٤، وينظر: الكشاف: ٣٩/٢، والدر المصون: ٨٩٥/٤.

(٢) تفسير الخازن: ١٢٥/٢.

(٣) الهداية: ٢٠٧٥/٣.

(٤) معاني القرآن للفراء: ٣٤٠/١، وتفسير الثعلبي: ١٦٠/٤، وتفسير الرازي: ٣٢/١٣، ومعترك الأقران: ٧/٢، وقَالَ ابْن بري: يُحْتَمَلُ أن يكون وَزنه (أفْعَل) مثل آدم، وَيحْتَمل أَن يكون (فَاعل) مثل تارِخ وفالِخ وشالِخ ولاوِن، وَهَذَا الْوَزْن كثيرٌ فِي الأعجمي، ينظر: في التعريب والمعرب وهو المعروف بحاشية ابن بري: ٢٩، تح/ د. إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت.

والآخر: أنه المخطئ، فكأنّه قال: يا مخطئ أتتخذ أصنامًا؟[١]، وعَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: آزَر معناها أَعْوَجُ، وَأَنَّهَا أَشَدُّ كَلِمَةٍ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ (ﷺ)[٢].

وقال الفخر الرازي: وهو من خصائص لغتهم، فتَكُونَ لَفْظَةُ آزَرَ صفة مخصوصة في لغتهم، فَقِيلَ إِنَّ آزَرَ اسْمُ ذَمٍّ فِي لُغَتِهِمْ وَهُوَ الْمُخْطِئُ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ الْمُخْطِئِ، كَأَنَّهُ عَابَهُ بِزَيْغِهِ وَكُفْرِهِ وَانْحِرَافِهِ عَنِ الْحَقِّ[٣].

وقال أبو بكر الكيساني: (آزر) اسم عيب عندهم؛ كأنه قال: يا ضال أتتخذ أصنامًا آلهة؛ كقول الرجل لآخر: يا ضال، وعلق عليه الماتريدي قائلًا: وفيه دلالة على أن لا بأس للرجل أن يشتم أباه لمكان ربه؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) سماه ضالًّا[٤].

تعقيب:

وسياقُ الآيات في سورة مريم وغيرها ينقض هذا الرأي ويأباه، فإنه لم يَصْدُرْ من الخليل (عليه السلام) كلمةٌ نابيةٌ، أو لفظٌ يُسيءُ إلى أبيه، أو يجرحه، بل كان الحوار في غاية الأدب والرقي، يقولُ صاحبُ الكشاف: انظرْ حين أراد أن ينصحَ أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم: كيف رتَّب الكلام معه في أحسن اتِّساق، وساقه أرشقَ مَسَاق، مع استعمال المجاملة

(١) زاد المسير: ٤٦/٢، ومعترك الأقران: ٧/٢، وتفسير المنار: ٤٤٦/٧.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١٣٢٤/٤، وإعراب القرآن للنحاس: ١٧/٢، وتفسير القرطبي: ٢٢/٧.

(٣) تفسير الرازي: ٣٢/١٣.

(٤) تفسير الماتريدي: ١٢٩/٤.

واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، بل دعاه إلى الحق مترفقًا به متلطفًا، فلم يسمِّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إنَّ معي طائفةً من العلم وشيئًا منه ليس معك، ولم تخلُ نصيحتُه من حسن الأدب، حيث لم يُصرِّحْ بأن العقاب لاحقٌ له، وأن العذاب لاصقٌ به، ولكنه قال: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ [مريم: ٤٥]، وصدَّر كلَّ نصيحة من النصائح الأربع بقوله: يا أَبَتِ، توسلًا إليه واستعطافًا(١).

وجدير بالذكر أن في اللفظة أقوالًا أخرى غير ما ذكر، منها:

أَنَّ مَعْنَاهُ الشَّيْخُ الهرم بِالْفَارِسِيَّةِ(٢)، وَقِيلَ: الشَّيْخُ الْهَرِمُ بِالْخُوَارَزْمِيَّةِ(٣).

ومنها: أَنَّ وَالِدَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) كَانَ تَارَحَ، وَآزَرُ كَانَ عَمًّا لَهُ، وَالْعَمُّ قَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْأَبِ، كَمَا حَكَى اللَّه (تَعَالَى) عَنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٣٣]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ عَمًّا لِيَعْقُوبَ، وَقَدْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَفْظَ الأب فكذا هاهنا(٤).

وقد نقل ذلك الفخرُ الرازي وردَّه بقوله: وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ التَّكَلُّفَاتِ إِنَّمَا يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهَا لَوْ دَلَّ دَلِيلٌ بَاهِرٌ عَلَى أَنَّ وَالِدَ إِبْرَاهِيمَ مَا كَانَ اسْمُهُ آزَرَ، وَهَذَا الدَّلِيلُ لَمْ يُوجَدِ الْبَتَّةَ، فَأَيُّ حَاجَةٍ تَحْمِلُنَا عَلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ، وَالدَّلِيلُ الْقَوِيُّ عَلَى صِحَّةِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ كَانُوا فِي غَايَةِ الْحِرْصِ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُولِ

(١) الكشاف: ٣/١٨- ٢٠، بتصرف واسع.
(٢) تفسير الثعلبي: ٤/١٦٠، وتفسير البغوي: ٢/١٣٦، والمهذب للسيوطي: ١/٦٩.
(٣) تفسير الرازي: ١٣/٣٢.
(٤) تفسير الرازي: ١٣/٣٢.

(ﷺ) وَإِظْهَارِ بُغْضِهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا النَّسَبُ كَذِبًا لَامْتَنَعَ فِي الْعَادَةِ سُكُوتُهُمْ عَنْ تَكْذِيبِهِ، وَحَيْثُ لَمْ يُكَذِّبُوهُ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا النَّسَبَ صَحِيحٌ، واللَّه أَعْلَمُ[١].

وعدَّه أبو حيان من افتراءات الشيعة فقال: "وَقِيلَ: إِنَّ آزَرَ عَمُّ إِبْرَاهِيمَ وَلَيْسَ اسْمَ أَبِيهِ وَهُوَ قَوْلُ الشِّيعَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ آبَاءَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَكُونُونَ كُفَّارًا وَظَوَاهِرُ الْقُرْآنِ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ وَلَا سِيَّمَا مُحَاوَرَةُ إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَبِيهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ"[٢].

تعقيب:

ذُكر عن أبي زيد المديني والحسن البصري أنهما كانا يقرآن (آزَرُ) بالرفع على النداء، بمعنى: يا آزرُ[٣]، وهي قراءةُ الحضرمي وحده، يعني: من العشرة[٤]، وإبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب –من الشواذ–[٥]، وأيضًا: أُبي وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدني ويعقوب،

(١) تفسير الرازي: ٣٢/١٣.

(٢) البحر المحيط: ٥٦١/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٦/١١، وتفسير السمرقندي: ٤٦٠/١، والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر النيسابوريّ: ١٩٦/١، تح/ سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية– دمشق، ١٩٨١م.

(٤) معاني القراءات للأزهري: ٣٦٣/١، مركز البحوث في كلية الآداب– جامعة الملك سعود، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٥) المبسوط في القراءات العشر: ١٩٦/١.

ورُويت عن سليمان التيمي[١]، ويؤيِّده ما في مصحف أُبَيّ: يا آزرُ، بإثبات حرف النداء[٢].

أقول: والنداء هنا يؤكد أنه اسم أبيه، وهو ما أكده الطبري بقوله: فأولى القولين بالصواب منهما عندي قولُ من قال: "هو اسم أبيه"؛ لأن الله (تعالى ذكره) أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائلُه أنه نعتٌ[٣].

كما لا أستبعدُ أن يكون له اسمان، أو اسم ولقب، وهو ما أجازه الطبري فقال: غيرُ محالٍ أن يكون له اسمان، كما لكثيرٍ من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم. وجائز أن يكون لقبًا يلقّب به[٤]، مقَالَ الْفراء: واللقب قد غلب على الِاسْم[٥].

ولابن الأنباري كلامٌ وجيهٌ قال: قد يغلبُ على اسم الرجل لقبُه حتى يكون به أشهر منه باسمه، فيمكن أن يكون آزر اسم أبي إبراهيم الصحيح، وتارح لقب له، وجائز أن يكون آزر لقبًا أبطل الاسم لشهرة الملقّب به، فخبّر الله تعالى بأشهر اسميه؛ لأن اللقب مضارع للاسم[٦].

---

(١) المحتسب: ٢٢٣/١، والدر المصون: ٨٩٧/٤.

(٢) الدر المصون: ٨٩٧/٤ ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي: ٢٦٦، تح/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية– لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٦/١١، ٤٦٧.

(٤) تفسير الطبري: ٤٦٦/١١، ٤٦٧.

(٥) تفسير السمعاني: ١١٨/٢.

(٦) التفسير البسيط: ٢٣٤/٨، وزاد المسير: ٤٦/٢.

ويقول الفخر: لَعَلَّ وَالِدَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُسَمًّى بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اسْمَهُ الْأَصْلِيَّ كَانَ آزَرَ وَجُعِلَ تَارَحُ لَقَبًا لَهُ، فَاشْتَهَرَ هَذَا اللَّقَبُ وَخَفِيَ الِاسْمُ، فَاللَّه تَعَالَى ذَكَرَهُ بِالِاسْمِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِالْعَكْسِ، وَهُوَ أَنَّ تَارَحَ كَانَ اسْمًا أَصْلِيًّا وَآزَرَ كَانَ لَقَبًا غَالِبًا، فَذَكَرَهُ اللَّه (تَعَالَى) بِهَذَا اللَّقَبِ الْغَالِبِ(١).

٣- من قول الله (ﷻ): ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾: ابنُ عباس: وجه الأرض، والجمهور على أنه تنور الخبز.

الغريب: عليٌّ (رضي الله عنه): طلوع الفجر.

ومن الغريب: قتادة: التَّنُّورُ: أشرفُ موضع في الأرض.

العجيب: التَّنُّورُ: عبارة عن اشتداد الأمر وصعوبته، كما قال (عليه السلام): "حميَ الوَطِيسُ" حين اشتدت الحرب"(٢).

التَّنُّورُ: لفظةٌ عَمَّتْ بكلِّ لسانٍ(٣)، يعني: اشترك فيها جميعُ اللغات من العرب وغيرهم، حكاه ابنُ جني وعلق بقوله: فإن كان كذلك فهو طريفٌ(٤)، يقول أبو عبيد الهروي: وافق لغةُ العرب لغةً العجم(٥).

---

(١) تفسير الرازي: ٣٢/١٣.

(٢) غرائب التفسير للكرماني: ٥٠٥/١، والحديث في صحيح مسلم: ٣/ ١٣٩٨.

(٣) العين (باب التاء والراء والنون معهما): ١١٤/٨، والتهذيب (كتاب النون، باب التاء والراء): ١٩٢/١٤، والتفسير البسيط: ٤١٤/١١، واللسان (ت ن ر): ٩٥/٤.

(٤) الخصائص لابن جني: ٢٨٨/٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

(٥) الغريبين للهروي: ٢٦٢/١، والدر المصون: ٣٢٣/٦، والمصباح (ت ن ر): ٧٧/١. ٧٧/١.

وهو دليلٌ على سعة اللغات غير العربية، فإن جاز أن يكون مشتركًا في جميع اللغات عدا العربية، جاز أيضًا أن يكون وفاقًا وقع فيها، ويُستبعدُ أن يكون في الأصل للغةٍ واحدة، ثم نُقل إلى جميع اللغات؛ لأنه لا نظير له، وإنما يجوزُ أيضًا أن يكون وفاقًا وقع بين لغتين أو ثلاث أو نحو ذلك، ثم انتشر بالنقل في جميعها(١).

وأكد الأزهري على أنَّ التنّور عَمَّتْ بِكُل لِسَان، وهو يدلُّ على أَن الأَصْلَ فِي الِاسْم العجمة فعَرَّبَتْه العَرَبُ فَصَارَ عَرَبيًّا على بِنَاء فَعُّول، وَالدَّلِيلُ على ذَلِك: أَنَّ أصل بنائِهِ (ت ن ر) غير معروف فِي كَلَام الْعَرَب لأنَّه مُهْمَلٌ، وَهُوَ نظيرُ مَا دخل فِي كَلَام الْعَرَب من كَلَام الْعَجم مثل: الدّيباج والدِّينار والسُّنْدُس والإستبرق وَمَا أَشْبَهها، وَلما تكلَّمت بهَا الْعَرَب صَارَت عربيَّة(٢)، وقال النيسابوري: معرب لأنه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء(٣).

قَالَ أَبُو حَاتِم: التَّنور لَيْسَ بعربي صَحِيح، وَلم تعرف لَهُ الْعَرَب اسْمًا غير التَّنور، فَلذَلِك جَاءَ فِي التَّنْزِيل: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ لأَنهم خوطبوا بِمَا عرفُوا(٤).

---

(١) الخصائص: ٢٨٨/٣.

(٢) التهذيب (كتاب النون، باب التاء والراء): ١٩٢/١٤، والتفسير البسيط: ٤١٤/١١، وتفسير الرازي: ٣٤٦/١٧، واللسان (ت ن ر): ٩٥/٤.

(٣) غرائب التفسير للكرماني: ٢١/٤.

(٤) الجمهرة (باب التاء والراء والنون): ٣٩٥/١.

وقالَ بعضهمْ: هو فارسيٌّ معربُ[١]، واسمهُ بالعربيَّةِ الفرنُ، قَالُوا: ومنهُ قيلَ الفرنيُّ لهذا الخبزِ المعروِف[٢].

وخالف بعض المحدثين رأي القدامى فراحوا يؤكدون على عربية اللفظة، يقول الشيخ شاكر: وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الكلمة أعجمية، ونحن نخالفهم في هذا ونرى أنها عربية، وأن هذا البناء إن كان نادرًا فليس دليلًا على أنه خارج عن لغتهم[٣].

ويقول الدكتور جبل: كلام اللغويين في ما هو من كلام العرب وما ليس من كلامهم ينبغي أن يؤخذ بحذر، لسعة اللغة وعظمتها، وقد قال الشافعي (ﷺ): إن كلام العرب لا يحيط به إلا نبي، قال ابن فارس: وهذا كلام حَرِيّ أن يكون صحيحًا[٤].

ويقول: بعد كل هذا نقول عن يقين إن لفظ تنّور عربي، وإنه –كان بكل لسان كما قالوا– فإنما عَن العرب أو العربية الأُوَلى أُخذ[٥].

وكما اختلفوا في حقيقة الكلمة عربيتها وعجميتها، اختلفوا اختلافًا واسعًا في بيان معناها:

---

(١) التلخيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء لأبي هلال العسكري: ١٧٤، تح/ د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م، وزاد المسير لابن الجوزي: ٣٧٢/٢، وكشف المشكل لابن الجوزي: ٣٦/٢، والمعرب للجواليقي: ص ١٣٢.

(٢) التلخيص لأبي هلال العسكري: ص ١٧٤.

(٣) هامش المعرب للجواليقي: ص ١٣٢.

(٤) المعجم الاشتقاقي: ٢٢٢/١، وينظر: الصاحبي لابن فارس: ص ٢٤، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥) المعجم الاشتقاقي: ٢٢٢/١.

الأول: أنه التنورُ الذي يُخبزُ فيه، وكان من حجارة، وكان بأقصى دار نوح بالشام، وقد جعل الله فوران الماء منه علامة على عذاب قومه(١).

وإلى ذلك مال جمهور العلماء منهم: الفراء(٢)، والطبري(٣)، والزجاج(٤)، والماتريدي(٥)، والجوهري(٦).

وهو قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ ومقاتل(٧).

وكان فوران الماء منه أمارةً جعلها الله لنوح (عليه السلام)، أي إذا فار التنور فاركب في السفينة، ووجه الأمارة أن مستوقد النار إذا فار بالماء فغيره أشد فورانا، وأحرى بذلك(٨).

تعقيب:

وما مال إليه جمهور العلماء من أن التنورُ هو الذي يُخبزُ فيه هو القول الأنسب؛ لأنَّ العرب كانت تعرفه، كما أنه معروفٌ تمامًا عند العرب(١)، مع وروده في أحاديث كثيرة، منها:

---

(١) تفسير التستري: ٧٩، وينظر: تفسير مقاتل: ٢٨٢/٢، وتفسير الثعلبي: ١٦٨/٥.

(٢) تفسير مقاتل: ٢٨٢/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣١٩/١٥، وفيه: إذا رأيت تنُّور أهلك يخرج منه الماءُ، فإنه هلاك قومك، فاركب أنتَ وأصحابك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥١/٣.

(٥) تفسير الماتريدي: ١٣١/٦.

(٦) الصحاح (ت ن ر): ٦٠٢/٢.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل: ٢٨٢/٢، وتفسير البغوي: ٤٤٨/٢، والمحرر الوجيز: ١٧٠/٣، ١٧٠/٣، وتفسير الرازي: ٣٤٦/١٧، وتفسير القرطبي: ٣٣/٩.

(٨) المحرر الوجيز: ١٧٠/٣.

عَنْ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: "وَكَانَ تَنُّورُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَتَنُّورُنَا وَاحِدًا"(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ مُعَصْفَرٌ فَقَالَ لَهُ: "لَوْ أَنَّ ثَوْبَكَ هَذَا كَانَ فِي تَنُّورٍ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ"(٣).

وعَنْ قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ عَنْ أَبِيهِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ مِنَ امْرَأَتِهِ حَاجَتَهَا، فَلْيَأْتِهَا وَلَوْ كَانَتْ عَلَى تَنُّورٍ"(٤).

ولذا رجَّحه الطبري بقوله: وأَوْلَى هذه الأقوالِ قولُ مَنْ قال: "هو التنور الذي يخبز فيه"؛ لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يُوجَّه إلَّا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجَّة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى مَا خاطبهم به(٥).

==

(١) المعجم الاشتقاقي: ٢٢١/١.

(٢) سنن أبي داود: ٢٨٨/١، تح/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٣) شرح معاني الآثار لأبي جعفر الطحاوي: ٢٤٩/٤، تح/ محمد زهري النجار، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٣٨٠/٨، تح/ حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.

(٥) تفسير الطبري: ٣٢١/١٥، والتفسير البسيط: ٤١٤/١١، والبحر المحيط: ١١٨/٦.

فالْأَصْلُ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَلَفْظُ التَّنُّورِ حَقِيقَةٌ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ، فَوَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ، وَلَا امْتِنَاعَ فِي الْعَقْلِ فِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْمَاءَ نَبَعَ أَوَّلًا مِنْ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ تَنُّورًا[١].

الغريب وموقف العلماء منه:

وأورد الكرماني في نصه السابق عدة أقوال ووصفها بالغرابة، منها:

الأول: أن التنور معناه تنويرُ الصبح، من قولهم: "نوَّرَ الصبحُ تنويرًا"، ويكون معنى الآية: إذا طلع الفجر فاركب في السفينة، وكون الْمُرَاد مِنْ فَوَرَانِهِ هُنَا ظُهُور نُورِهِ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْوَقْتَ مَوْعِدُهُمْ كَقَوْمِ لُوطٍ [٢]، حكاه الطبري[٣]، ووافقه الزجاج[٤]، ونسبه بعضهم إلى الإمام علي (ﷺ)[٥]، ومَنْ ذهب إلى هذا قال: المعنى: وبَرَزَ النورُ وظهر الضوءُ وتقضى الليلُ، فشبه تتابع الأضواء والأنوار بخروج النار من التنور[٦].

وضعَّف ابنُ عطية هذا المعنى بقوله: إلا أن التصريف يضعفه، وكان يلزم أن يكون التنَوُّر[٧]، كما ضعفه الدكتور جبل بقوله: والقول بأن

---

(١) تفسير الرازي: ٣٤٦/١٧.

(٢) ينظر: تفسير المنار: ٦٣/١٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣١٨/١٥، وتفسير المنار: ٦٣/١٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥١/٣.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٢٨/٦، والتهذيب (كتاب النون، باب التاء والراء): ١٩٢/١٤، وتفسير السمرقندي: ١٥٠/٢، وتفسير الثعلبي: ١٦٨/٥، وتفسير الماوردي: ٤٧٢/٢.

(٦) التفسير البسيط: ٤١٤/١١.

(٧) المحرر الوجيز: ١٧١/٣.

التنور يطلق على تنوير الصبح له وجه من معنى التركيب –للُطف الضوء واسترساله– إن ثبت وروده عن العرب– لكن يبعد أن يكون هو المراد في آية التركيب؛ لأن الآية الأخرى تكاد تعيّن المراد، وبقرينة كلمة {فار}(١).

الثاني: أنه مَثَلٌ، كقولهم: حمي الوطيس(٢)، وهو مجازٌ يُراد به غلبةُ الماء وظهورُ العذاب، كما قال النبي (ﷺ) لشدة الحرب: "حمي الوطيس"، والوطيس أيضا مستوقد النار، فلا فرق بين (حمي) و(فارَ) إذ يُستعملان في النار، كما أنه لا فرق بين الوطيس والتنور(٣).

وَيكون مَعْنَى الْآيَةِ على ذلك: إِذَا رَأَيْتَ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ وَالْمَاءَ يَكْثُرُ فَانْجُ بِنَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ إِلَى السَّفِينَةِ(٤).

وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ(٥):

تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ

يُرِيدُ الْحَرْبَ(٦).

---

(١) المعجم الاشتقاقي: ٢٢١/١.

(٢) الكشاف: ١٨٤/٣.

(٣) المحرر الوجيز: ١٧١/٣، والبحر المحيط: ١٥١/٦.

(٤) تفسير الرازي: ٣٤٧/١٧.

(٥) والبيت من الوافر، وهوَ في الحمَاسَة الصُغرى لأبي تمام: ص ١٧٣، تح/ عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، بلا عزو، ولفظه فيه:

أقيمُوا أُسْرةَ الأوْسيّ فِيهَا وَقِدْرُ القَوْمِ حامَيَةٌ تَفُورُ

(٦) فتح القدير: ٥٦٥/٢.

وأيد هذا القولَ القاسميُّ فقال: وهو من فصيح الكلام وبليغه، وعندي أنه أظهرُ الأوجه المذكورة وأرقُّها وأبدُعها وأبلُغها، كأنه قيل: واشتد الأمرُ، وقوي انهمارُ الماء ونبوعُه.

وهذا الإيجاز في مجازه الرهيب، قد بينته آيات أخر، وهي: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١، ١٢]، ومما يؤيده شموله لشدة الأمر من السماء والأرض، فيطابق هذه الآيات، وأما غيره فمقصور على ناحية الأرض فقط. وجليٌّ أنَّ الأمر كان أعمَّ –والله أعلم–[١].

و بعد أن استحسنه الآلوسي رده قائلًا: لكنه بعيدٌ عما جاءت به الأخبار[٢].

الثالث: ومما أورده الكرماني واصفًا إياه بالغرابة أن المراد بالتَّنُّور أَشْرَفُ مَوْضِعٍ فِي الْأَرْضِ، كأنه قِيلَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَارْكَبْ أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ قَالَ: الْعَرَبُ تُسَمِّي وَجْهَ الأَرْضِ تَنُّورُ الأَرْضِ، وهو منسوب إلى ابن عباس[٣]، وقتادة[٤]، وَتبعهما عِكْرِمَةُ[٥]، والماتريدي[١]، والثعلبي[٢].

والثعلبي[٢].

---

(١) تفسير القاسمي (محاسن التأويل): ٦/٩٣، ٩٤، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) تفسير الآلوسي: ٦/٢٥١.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٦/٢٠٢٩، وتفسير السمرقندي: ٢/١٥٠.

(٤) الهداية: ٥/٣٣٩٢، والكشاف: ٣/١٨٤، والتاج (ت ن ر): ١٠/٢٩٤.

(٥) صحيح البخاري: ٤/١٣٤، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦/٢٠٢٩، والتهذيب (كتاب النون، باب التاء والراء): ١٤/١٩٢.

وحكى الطبري أن معناه: وفار أعلى الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء، فالتنور: أعلى الأرض وأشرَفُها، وكان عَلَمًا بين نوح وبين ربّه[٣]، ووافقه الزجاج[٤]، ونسبه بعضهم للإمام علي (ﷺ)[٥].

تعقيب:

لعل وجه الغرابة عند الكرماني أنه فهم (أشرف موضع) بمعنى الشرف والرفعة والمكانة، ويكون المعنى: فوران الماء من أفضل مكان وأرفعه، وهو ما أكده الآلوسي بقوله: أشرف موضع منها أي أعلاه وأرفعه[٦]، وربما كان السبب في ذلك الفهم بتر النص المنقول عن قتادة، فإن نصه كاملًا كما في شمس العلوم للحميري: التنور: ما زاد على وجه الأرض، وأشرف منها[٧].

==

(١) تفسير الماتريدي: ١٣١/٦.

(٢) تفسير الثعلبي: ١٦٨/٥.

(٣) تفسير الطبري: ٣١٩/١٥، وفيه: أنه قيل لنوح (عليه السلام): إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت ومن معك. قال: والعرب تسمى وجه الأرض: "تنور الأرض"، وينظر: تفسير الماوردي: ٤٧٢/٢،

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥١/٣.

(٥) ديوان الأدب: ٣٣٢/١، والصحاح (ت ن ر): ٦٠٢/٢.

(٦) تفسير الآلوسي: ٢٥١/٦.

(٧) شمس العلوم لنشوان الحميرى: ٧٧٥/٢، وتفسير الماوردي: ٤٧٢/٢.

والحقُّ أن الشرف –هنا– من الوضوح والبيان، فالشَّرفُ: ما أشرفَ من الأرض، والمشرف: المكان تشرف عليه وتعلوه، ومشارف الأرض: أعاليها، والشُّرْفة: التي تشرف بها القصور(١).

وهو ما أكده الفخر الرازي بقوله: التَّنُّورَ أَشْرَفُ مَوْضِعٍ فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَى مَكَانٍ فِيهَا، وَقَدْ أَخْرَجَ إِلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُعْجِزَةً لَهُ، وَأَيْضًا الْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمَّا نَبَعَ الْمَاءُ مِنْ أَعَالِي الْأَرْضِ، وَمِنَ الْأَمْكِنَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَشُبِّهَتْ لارتفاعها بالتنانير(٢)، فيكون المعنى على هذا: ونبع الماء من أعالي الأرض ومن الأمكنة المرتفعة، فشبهت لعلوها بالتنانير(٣).

(١) العين (باب الشين والراء، والفاء معهما): ٢٥٢/٦.

(٢) تفسير الرازي: ٣٤٦/١٧، ٣٤٧.

(٣) التفسير البسيط: ٤١٤/١١.

المبحث الرابع: ما وصفه الكرماني بالغرابة وليس بغريب.

١- من قول الله (ﷻ): ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، يقول الكرماني: "قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾: نَزَّلَهُنَّ مع الرجال منزلة اللباس؛ لما بينهما من الاجتماع والتضام، قال[١]:

إذا ما الضَّجيعُ ثَنَى جيدَها تَثَنَّتْ عليه فكانَتْ لباسا

الغريب: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ ، أي: سكن، من قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ثم سماها لباسًا، كما سمى الليل سكنًا في قوله: ﴿وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، ثم سماه لِبَاسًا، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠]"[٢].

صدَّر الكرماني نصه السابق بالإشارة إلى أن كلمة اللباس على حقيقتها، وللعلماء أقوالٌ في ذلك:

الأول: موافق للكرماني، ويمثله الطبري، وهو أن اللفظ يُرادُ به حَقِيقَةُ اللبَاس، والمعنى: أن يكون كلُّ واحد منهما جُعل لصاحبه لباسًا؛ لتجرُّدهما عند النوم، واجتماعهما في ثوب واحد، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه، بمنزلة ما يلبسه على جَسده من ثيابه، فقيل لكل واحد منهما: هو لباسٌ لصاحبه، كما قال نابغة بني جعدة:

---

(١) البيت من المتقارب، للنابغة الجعدي في ديوانه: ص ١٠٠، جمع د. واضح الصمد، دار صادر، ط١، ١٩٩٨م.

(٢) غرائب التفسير للكرماني: ١/٢٠٠.

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا تَدَاعَتْ، فكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا

ويروي: "تثنت" فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد بـ (اللباس)، كما يكنى بـ (الثياب) عن جسد الإنسان(١).

وقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ هِيَ لِبَاسُكَ، وَفِرَاشُكَ، وَإِزَارُكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُمَازَجَةِ، وَلَمَّا كان يَعْتَنِقَانِ وَيَشْتَمِلُ كُلٌّ مِنْهُمَا على صَاحِبَهُ فِي الْعِنَاقِ، شُبِّهَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِاللِّبَاسِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِنْسَانِ(٢).

وعند أبي هلال أن: معناه أن الرجل والمرأة يتضامان فيصير كل واحد منهما بمنزلة اللباس للآخر(٣)، وقال أبو عبيدة: يقال لامرأة الرجل: هي فراشه، ولباسه وإزاره، ومحل إزاره(٤).

وقال أصحاب المعاني: اللّباس الشعار الّذي يلي الجهار من الثياب، فسَمَّي كلَّ واحد من الزوجين لباسًا لتجردهما عند النوم، واجتماعهما في ثوب واحد، وانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه، حتّى يصير كلّ واحد منهما لصاحبه كالثوب الّذي يليه(٥).

الثاني: وَذهب الجصَّاصُ إلى احْتمَالِ أَنْ يُرادَ بِاللِّبَاسِ السِّتْرُ؛ لِأَنَّ اللِّبَاسَ هُوَ مَا يَسْتُرُ، كما سَمَّى اللَّهُ (تَعَالَى) اللَّيْلَ لِبَاسَا لِأَنَّهُ يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ بِظَلَامِهِ، ويكون الْمَعْنَى: أن كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَتَرَ صَاحِبَهُ عَنْ التَّخَطِّي إلَى

(١) تفسير الطبري: ٤٨٩/٣، وما بعدها.
(٢) البحر المحيط: ٢١٢/٢، وينظر: الكشاف: ٢٣٠/١، وتفسير الآلوسي: ٤٦١/١.
(٣) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: ٤٢٣.
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٦٧.
(٥) تفسير الثعلبي: ٧٧/٢.

مَا يَهْتِكُهُ مِنْ الْفَوَاحِشِ وَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُتَعَفِّفًا بِالْآخَرِ مُسْتَتِرًا بِهِ(١)، مما يجعل كل واحد منهما سترًا للآخر من النار(٢).

وزاد الفخر الرازي: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا لِبَاسًا لِلرَّجُلِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَخُصُّهَا بِنَفْسِهِ، كَمَا يَخُصُّ لِبَاسَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَرَاهَا أَهْلًا لِأَنْ يُلَاقِيَ كُلُّ بَدَنِهِ كُلَّ بَدَنِهَا كَمَا يَعْمَلُهُ فِي اللِّبَاسِ فيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ سَتْرُهُ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْمَفَاسِدِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْبَيْتِ، لَوْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ حَاضِرَةً، كَمَا يَسْتَتِرُ الْإِنْسَانُ بِلِبَاسِهِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمَضَارِّ(٣).

الثالث: ما ذهب إليه ابن قتيبة أنَّ اللفظة من باب الاستعارة: فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المُسمَّى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورًا لها، أو مشاكلًا، فيقولون للنبات: نوء لأنه يكون عن النوء عندهم، ومنه قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] لأنّ المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد، ويتضامّان فيكون كلّ واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس(٤).

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٢٨٢، وينظر: تفسير الماتريدي: ٤٩/٢، والمفردات للراغب: ص ٧٣٤، وتفسير الراغب الأصفهاني: ٣٩٨، وتفسير الرازي: ٢٦٩/٥.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي: ١٢٤/١،

(٣) تفسير الرازي: ٢٦٩/٥، وتفسير القرطبي: ٣١٦/٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٩٢.

الغريب وموقف العلماء منه:

يشير الكرماني في هذا النصّ إلى أن لفظ (لِبَاسٌ) يطلق عند بعض العلماء على (السكن) وهو ما أكده ابنُ عباس قَالَ: هُنَّ سَكَنٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ سَكَنٌ لَهُنَّ"[١].

وكأن الكرماني مقتف أثر يحيى بن سلام[٢] الذي ذهب إلى أن تفسير اللباس على ستة وجوه، منها: أن اللباس بمعنى السكن، وذلك قوله في البقرة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ يقول: نساؤكم سكن لكم وأنتم سكن لهنَّ[٣].

وهو الوجه الآخر عند الطبري قال: أن يكون جَعل كلَّ واحد منهما لصاحبه لباسًا؛ لأنه سَكنٌ له، فيكون كل واحد منهما "لباسًا" لصاحبه، بمعنى سكونه إليه[٤].

وممَّن ذهب إلى أنَّ اللباس هو السكن: مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، والزجاجُ، والأزهريُّ، ومكيٌّ، والماورديُّ، وابنُ الجوزي، وابنُ منظور[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ص ٣١٦.

(٢) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، أَخَذَ القِرَاءاتِ عَنْ أَصْحَابِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وتوفى سنة ٢٠٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٢٠/٨، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام التيمي: ص ١١٩، تح/ هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨٩/٣، وما بعدها.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ٣١٦، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٥٦/١، والتهذيب (كتاب الباء، باب السين واللام): ٣٠٧/١٢، والهداية: ٦١٦/١، وتفسير الماوردي: ٢٤٤/١، وزاد المسير: ١٤٨/١، واللسان (ل ب س): ٢٠٣/٦.

تعقيب:

لعلَّ اختيار القرآن كلمة (اللباس) هنا لما تشتملُ عليه من جميع المعاني المادية والمعنوية للعلاقة بين الزوجين، وما تُوحى به تلك الكلمة من شدة الاحتياج، كاحتياج المرء للباس؛ ليكون مصدر راحة، وعنوان زينة معا(١)، وهي أدقُّ عبارةٍ وأرقُّ قولٍ، فالعلاقةُ الزوجيةُ تجعل الزوجة كأنها لباسٌ لزوجها تستره، وتمسُّ جسمه وتكون منه بمنزلة الشعار والدثار، وهو لها كأنه لباس يسترها، ويكون منها بمنزلة الشعار والدثار يلامس جسمها جسمه، فتكون المشاعر التي تثير وتهيج.

كما يدل هذا اللفظ على الحاجة الحسية من الرجل لامرأته، ومن المرأة لزوجها، والحاجة النفسية والرباط الروحي الذي يربط بينهم بالمودة والرحمة(٢).

فلا وجه للغرابة كما رأى الكرماني، فالمعنى ذهب إليه جمهور العلماء من المفسرين واللغويين، كما أن اللفظ يحتمله، وقد أشار إليه القرآن في سياق آية أخرى هي قوله (تعالى): ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

٢- من قول الله (ﷻ): ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ٣٧]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾: هيَّأنا، من العتيد، وهو الحاضر.

الغريبُ: أصله: أعدْنا، قَلَبَ الدالَ تاءً"(٣).

---

(١) من بلاغة القرآن لأحمد البيلي: ص ١٥٦، نهضة مصر- القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) زهرة التفاسير: ٥٦٥/٢.

(٣) غرائب التفسير للكرماني: ٢٩٦/١.

وما عده الكرماني غريبًا نصَّ عليه كثيرٌ من أئمة اللغة، فقد ذهبوا إلى أنَّ ثمت إبدالًا وقع بين التاء والدال، يقول الراغب: أعتدنا: قيل: أصله: أعددنا، فأبدل من إحدى الدالين تاء(١)، وتبعه البيضاوي(٢).

ويقولُ صاحبُ التحرير: وَأَصْلُ وأَعْتَدْنا أَعْدَدْنَا، أُبْدِلَتِ الدَّالُ الْأُولَى تَاءً؛ لِثِقَلِ الدَّالَيْنِ عِنْدَ فَكِّ الْإِدْغَامِ بِاتِّصَالِ ضَمِيرِ الرَّفْعِ؛ وَهَكَذَا مَادَّةُ (أَعَدَّ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا أَدْغَمُوهَا لَمْ يُبْدِلُوا الدَّالَ بِالتَّاءِ؛ لِأَنَّ الْإِدْغَامَ أَخَفُّ، وَإِذَا أَظْهَرُوا أَبْدَلُوا الدَّالَ تَاءً، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: عَتَادٌ لِعُدَّةِ السِّلَاحِ، وَأَعْتُدٌ جَمْعُ عَتَادٍ(٣).

بينما يميلُ رأيٌ آخرُ إلى أنَّ كلا الفعلين أصلٌ قائمٌ بذاته، فلا إبدال، فـ (عَدَّ) بِنَاء مضاعفٌ، و(عتد) بِنَاء على حِدةٍ، مِنَ الْعَتَادِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُهَيَّأُ لِلْأَمْرِ(٤)، ومعناه: يسَّرنا وأعددنا وأحضرنا(٥)، ورجحه الأزهري(٦)، وعلى ذلك حمله العكبري أيضا(٧)، وأكده البيضاوي بقوله: والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة(٨)، وألمح إليه الزجاج فقال: أي جعلنا ذلك عَتَادًا لهم،

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: ١١٤٨/٣.
(٢) تفسير البيضاوي: ٦٥/٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٥٣/٥.
(٤) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٧٣٠/٢، وينظر: باهر البرهان للنيسابوريّ: ٧٠٦/٢.
(٥) المحرر الوجيز: ٢٦/٢.
(٦) التهذيب (كتاب التاء، باب العين والدال): ١١٥/٢.
(٧) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٧٣٠/٢.
(٨) تفسير البيضاوي: ٦٥/٢.

أو مُثْبِتًا لهم[١]، وقال أبو حيان: أَيْ أَعْدَدْنَا وَهَيَّأْنَا[٢]، وقال بعض الكوفيين: أعددنا وأعتدنا معناهما واحد، فمعنى قوله: "أعتدنا لهم"، أعددنا لهم[٣].

وأكد الشيخ الطاهر على تَرَدُّد أَئمَّةِ اللُّغَةِ فِي أَنَّ أَصْلَ الْفِعْلِ بِدَالِينِ أَوْ بِتَاءٍ وَدَالٍ فَلَمْ يَجْزِمُوا بِأَيِّهِمَا الْأَصْلُ لِكَثْرَةِ وُرُودِ فِعْلِ (أَعَدَّ) وَفِعْلِ (اعْتَدَ) فِي الْكَلَامِ، ثم راح يؤكد (رحمه الله تعالى) على أن الْأَظْهَرَ أَنَّهُمَا فِعْلَانِ نَشَآ مِنْ لُغَتَيْنِ، غَيْرَ أَنَّ الِاسْتِعْمَالَ خَصَّ الْفِعْلَ ذَا التَّاءِ بِعُدَّةِ الْحَرْبِ فَقَالُوا: عَتَادُ الْحَرْبِ وَلَمْ يَقُولُوا عَدَادُ، كما يُطْلَقُ عَلَى مَا يُعَدُّ مِنَ الْأُمُورِ وَأَمَّا الْعُدَّةُ بِضَمِّ الْعَيْنِ فَتَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا يُعَدُّ وَيُهَيَّأُ، يُقَالُ: أَعَدَّ لِكُلِّ حَالٍ عُدَّةً.

وَالْأَكْثَرُ أَنَّهُ إِذَا أُرِيدَ الْإِدْغَامُ جِيءَ بِالْفِعْلِ الَّذِي عَيْنُهُ دَالٌ، وَإِذَا وُجِدَ مُقْتَضَى فَكِّ الْإِدْغَامِ لِمُوجِبٍ مِثْلِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ جِيءَ بِالْفِعْلِ الَّذِي عَيْنُهُ تَاءٌ[٤].

فيما عدَّه بعضُ الباحثين من التَّداخلِ الذي يقعُ بين التاء والدال، ووقوعُهُ غيرُ كثير، ومنه تداخل (ع ت د) و(ع د د) وهو يحتمل الأصلين:

يجوز أن يكن الأصل (ع ت د) أي: هيأت من العتاد؛ وهو الشيء الّذي يُهَيَّأُ له.

وذهب بعضهم إلى أن العُدَّة إنما هي (العُتْدَة) وأعدّ يعد إنما هو (أعتد يعتد) ولكنهم أدغموا التاء بعد قلبها في الدال.

---

(١) معاني القرآن للزجاج: ٥١/٢، وزاد المسير: ٤٠٥/١.

(٢) البحر المحيط: ٦٣٦/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٠٣/٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٧٧/٢٩.

وذهب بعضهم إلى أن أصله (ع د د) ثم أبدلت الدال تاء؛ فرارًا من الإدغام(١).

تعقيب:

والأقربُ إلى الصواب حصولُ الإبدال بين الحرفين، يقولُ الثعلبي: والعربُ تُعاقبُ بين (التاء) و(الدال) لقرب مخرجيهما، فيُقال: أعتدت وأعددت، وهرد وهرت، وكبد وكبت، ونحوهما، قال الشاعر:

لئنْ كنتَ منِّي في العيان مُغيبًا فذكرُكَ عندي في الفؤادِ عتيدُ(٢)

فالتاء والدال متفقان في المخرج والصفات عدا صفة واحدة هي الجهر في الدال، والهمس في التاء، فمخرجهما مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا(٣)، فبين الحرفيْن -إذنْ- تقاربٌ في المخرج واتحادٌ في معظم الصفات؛ مما يؤكد حدوث التبادل بينهما، كما ذهب إليه بعض اللغويين.

٣- قال الله (تعالي): ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣]

يقول الكرماني: "قوله: (قَاسِيَةً): صُلبة شديدة، وقرئ: (قسيَّة) للمبالغة في الذم؛ لأن بناء فعيل أبلغ من فاعل.

---

(١) تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم لعبدالرزاق الصاعدي: ص٥١٢، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) تفسير الثعلبي: ١٠٠/٩، والبيت من الطويل ولم أقف على قائله.

(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٣، وينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني: ٦٠/١، ٦١.

الغريب: قسيَّةٌ رديَّةٌ، تقولُ: درهمٌ قسيٌّ، أي: بهرَجٌ زائفٌ، وسُمِّيَ بذلك لشدة صوته بالغش الذي فيه"(١).

القَسْوة –كما يقول الخليل– الصلابةُ في كل شيء، وقَسَا يَقْسُو فهو قاسٍ، وليلة قاسيةٌ: شديدة الظلمة. والمُقاساةُ: معالجة الأمر ومكابدته(٢)، ومعنى ﴿قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً﴾ كما قال ابن عباس: يائسةٌ، وقيل: غليظةٌ لا تلين، وقيل: متكبرةٌ لا تقبل الوعظ، وَكُلُّ هَذَا مُتَقَارِبٌ؛ فقَسْوَةُ الْقَلْبِ غِلَظُهُ وَصَلَابَتُهُ حَتَّى لَا يَنْفَعِلَ لِخَيْرٍ(٣)، ويقال: خاليةٌ عن حلاوة الإيمان(٤).

وللعلماء في الفرق بين (قَسِيَّةً) و(قَاسِيَةً) مذهبان:

أولًا: جمهور اللغويين على ألَّا فرق بينهما، فهما لغتان، أكد على ذلك: الفراء والكسائي وابن الأنباري، وأبي زرعة، والثعلبي، ومكي، والبغوي، والقرطبي(٥)، وقد قَرَأَ بهما القُرَّاءُ فَقَرَأَ ابْنُ كثير وَنَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَأَبُو عَمْرو وَابْنُ عَامر:

(١) غرائب التفسير للكرماني: ٣٢٣/١.

(٢) العين (ق س و): ١٨٩/٥، والتهذيب (ق س ا): ١٧٩/٩.

(٣) تفسير الثعلبي: ٣٨/٤، والبحر المحيط: ٢٠٤/٤.

(٤) تفسير السمرقندي: ٣٧٦/١.

(٥) كتاب فيه لغات القرآن للفراء: ٦١، تح/ جابر بن عبدالله السريع، ١٤٣٥هـ، والزاهر لابن الأنباري: ٣٣٩، وحجة القراءات لأبي زرعة: ص ٢٢٤، تح/ سعيد الأفغاني، دار الرسالة، وتفسير الثعلبي: ٣٨/٤، والهداية: ١٦٤٤/٣، وتفسير البغوي: ٣١/٢، وتفسير القرطبي: ١١٥/٦.

(قَاسِيَةً) بِأَلف، وَقَرَأَ حَمْزَةُ والكسائيُّ: (قَسِيَّةً) بِغَيْر ألف مُشَدّدَة[١]، يقولُ الأزهريُّ: القاسِيةُ والقَسِيَّةُ بمعنى واحد، وهي: القلوبُ التي قَسَتْ وغلظتْ واستَمرتْ على المعاصي، وكلُّ شيء يبس وذهب رقتُه فقد قَسَا[٢].

وَحجَّةُ من قَرَأَ (قسيَّة) هِيَ أَنَّ (فعيل) أبلغ فِي الذَّم والمدح من (فَاعل)، كَمَا أَن (عليم) أبلغ من (عَالم) و(سميع) أبلغ من (سامع) وَهِي فعيلة من الْقَسْوَة[٣].

الثاني: يذهب إلى التفريق بينهما، وإلى ذلك مال أبو عبيد فقال: القاسية: مأخوذة من القسوة، والقَسِيّة: التي ليست بخالصة الإيمان، وقد خالطها زَيغٌ وشَكٌ. قال: وهو بمنزلة الدرهم القَسِيّ الذي قد خالطه غِشٌّ من نحاس وغيره، واحتج بقول عبدالله بن مسعود (ﷺ)[٤]: (ما يسرني أن لي دين الذي يأتي الكاهن بدرهم قَسِيٍّ)، وبقول أبي زبيد يصف وقع المساحي في الحجارة:

لها صواهِلُ في صُمِّ السِّلامِ كَمَا صَاحَ القَسِيَّاتُ في أيدي الصَّيارِيفِ[٥].

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: إِنَّ قُلُوبَهُمْ لَيْسَتْ بِخَالِصَةٍ لِلْإِيمَانِ بَلْ إِيمَانُهُمْ مَشُوبٌ بِالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَمِنْهُ الدَّرَاهِمُ الْقَاسِيَةُ وَهِيَ الرَّدِيَّةُ الْمَغْشُوشَةُ[٦].

---

(١) السبعة لابن مجاهد: ص ٢٤٣، تح/ شوقي ضيف، دار المعارف– مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ، ومعاني القراءات: ٣٢٧/١، وتفسير السمرقندي: ٣٧٦/١، والحجة لأبي علي: ٢١٦/٣، والمحرر الوجيز: ١٦٩/٢.

(٢) معاني القراءات: ٣٢٧/١.

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة: ص ٢٢٤.

(٤) الحديث في غريب الحديث لأبي عبيد: ٦٨/٤، والتهذيب (ق س ا): ١٧٩/٩.

(٥) الزاهر لابن الأنباري: ص ٣٣٩، والبيت من البسيط، وهو لأبي زبيد كما في غريب الحديث الحديث لأبي عبيد: ٦٨/٤، وفي الزاهر لابن الأنباري: ٣٣٩/١.

(٦) تفسير السمعاني: ٢١/٢، وتفسير البغوي: ٣١/٢، والمحرر الوجيز: ١٦٩/٢.

وحكى الطبري القولين:

فـ (قَاسِيَةً) بالألف على تقدير (فاعلة) من قسوة القلب، من قول القائل: قَسَا قلبه، فهو يقسُو وهو قاسٍ، وذلك إذا غلظ واشتدّ وصار يابسًا صُلبًا، فتأويل الكلام على هذه القراءة: فلعنَّا الذين نقضوا عهدي ولم يفُوا بميثاقي من بني إسرائيل، بنقضهم ميثاقهم الذي واثقوني ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾، يعني: غليظة يابسةً عن الإيمان بي، والتوفيق لطاعتي، منزوعةً منها الرأفةُ والرحمة، و(قَسِيَّةً): من القسوة، لأنَّ (فعيلة) في الذم أبلغ من (فاعلة)، كما يقال: نفس زكيّة وزاكية، وامرأة شاهدة وشهيدة.

وقال آخرون: بل معنى (قسِيَّة) غير معنى القسوة، فـ (القسية) في هذا الموضع: القلوبُ التي لم يُخلصْ إيمانها بالله، ولكن يخالط إيمانها كُفْر، كالدراهم القَسِيَّة، وهي التي يخالط فضّتها غشٌّ من نحاس أو رَصاص وغير ذلك، كما قال أبو زُبَيْد الطائي:

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السِّلامِ كَمَا صَاحَ القَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيارِيفِ

يصف بذلك وقع مَسَاحي الذين حفروا قبر عثمان (ﷺ) على الصخور، وهي السِّلام، فتكون قلوبهم موصوفةً بأنّ إيمانها يخالطه كفر، كالدراهم القَسِيَّة التي يخالط فضَّتها غشٌّ[١].

وتبعه في حكاية القولين: النحاس[٢]، وابن خالويه[٣]، وأبو علي الفارسي[٤].

---

(١) تفسير الطبري: ١٢٦/١٠، والمحرر الوجيز: ١٦٩/٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس: ٢٨١/٢.

(٣) الحجة لابن خالويه: ١٩٤.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي: ٢١٦/٣.

وحاول الزمخشري أن يرد المعنيين إلى معنى واحد فقال: قسية، أى رديَّةٌ مغشوشةٌ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْقَسْوَةِ؛ لِأَنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ الْخَالِصَيْنِ فِيهِمَا لِينٌ، وَالْمَغْشُوشَ فِيهِ يُبْسٌ وَصَلَابَةٌ(١).

يقول السمين الحلبي: وهذا القول سبقه إليه المبردُ فإنه قال: يُسَمَّى الدرهمُ المغشوشُ قَسِيّاً لصلابته وشدتِه للغشِّ الذي فيه، وهو يَرْجِعُ للمعنى الأول(٢).

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: والدِّرْهَمُ الْقَسِيُّ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ مَا قَلَّتْ نَقْرَتُهُ يَقْسُو وَيَصْلُبُ(٣)، وقال البيضاوي: وهو أيضًا من القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة(٤)، وقال ابن منظور: دِرْهَمٌ قَسِيٌّ ضَرْبٌ مِنَ الزُّيوف أَي فِضته صُلبة رَدِيئَةٌ لَيْسَتْ بِلَيِّنَةٍ(٥)؛ لأنَّ المغشوش منها صلب يتعب عند عمله(٦).

تعقيب:

وسياق الآية يؤكد أن قسيَّة بمعنى رديَّة ليس غريبًا، فإنَّ قلوبَ هؤلاء لمَّا لمْ ينعقد الإيمان لديهم، ولم يُشْرَبُوا حُبَّ الإيمان في قلوبهم، ملأ الغشُّ والتضليلُ قلوبَهم، حتى انطبع على أفعالهم فصاروا: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، يقول الشيخ أبو زهرة:

---

(١) الكشاف: ٦١٥/١، وتفسير الرازي: ٣٢٥/١١، والبحر المحيط: ٢٠٤/٤، والدر المصون: ٢٢٣/٤.

(٢) الدر المصون: ٢٢٣/٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١١٥/٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ١١٩/٢.

(٥) اللسان (ق س ا): ١٨١/١٥.

(٦) عمدة الحفاظ: ٣٠٩/٣.

والحقُّ عندي أنَّ كلتا القراءتين قرآن، وما دامت متواترة فالجمع بينهما ضروري، والجمع بجعل إحداهما تأتي معنى ليس في الأولى يكون أولى وتكون كلتاهما متممة للأخرى، وبالجمع يكون المعنى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً﴾ لأنه اختلط فيها الزيف بأصل الإيمان، فعندهم إيمان بالله من غير إذعان لأحكامه، ولا تصديق لرسله، ولا قيام بالتكليفات، والزيف أكثر من الأصل، والنحاس أكثر من الفضة، فصلبت.

وإن قسوة القلب وفساده يترتبان على الانحراف عن الطريق السوي الذي عبر عنه بالطرد؛ لأن من ضل الطريق كلما سار في الضلال تاه وغاب عنه، ولأن القلب كلما أركس في الشر أربد وأظلم، وصارت غشاوة من الباطل تُغطِّيه فلا يُدْرِكُ، وتُحَجِّره فلا يَلين(١).

٤- قال الله (ﷻ): ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]

يقول الكرماني: "قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: حلف لهما، (فاعَلَ) بمعنى (فَعَلَ) كقولهم: عافاه الله، وعاقبت اللص.

الغريب: قاسمهما من المقاسمة، وذلك أنَّ إبليس قال لهما: إن كان ما قلته خيرًا، فهو لكما دوني، وإن كان شرًّا فهو عليَّ دونكما، ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين، وهذه مقاسمة"(٢).

أشار الكرماني في هذا النص إلى أن (قاسم) هنا من القسم وهو الحلف، وهو ما عليه جمهور المفسرين واللغويين، قال مقاتل: وَقاسَمَهُما

(١) زهرة التفاسير: ٤/٢٠٧٩.

(٢) غرائب التفسير للكرماني: ١/٣٩٩، ٤٠٠.

يعني حلف بِاللَّه لهما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ إنها شجرة الخلد، من أكل منها لَمْ يمت، فكان إبليس أول من يحلف بِاللَّه كاذبًا(١)، وهو ما أكده البخاري في صحيحه(٢)، واستشهد عليه الطبري بقول خالد بن زهير:

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْدًا لأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا(٣).

بمعنى: وحالفهما بالله، وكما قال أعشى بني ثعلبة:

رَضِيعَيْ لِبَانٍ، ثَدْيَ أُمٍّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ

بمعنى تحالفا(٤).

كما ذهب إلى أنه بمعنى حلف: ابنُ عباس وقتادة(٥)، وأبو عبيدة، والزجاج، وابنُ أبي حاتم، والسمرقندي، وأبو عبيد الهروي، والثعلبي، وأبو جعفر النحاس، والزمخشري، والخازن، والشوكاني(٦).

---

(١) تفسير مقاتل ٣٢/٢، قَالَ لَهُمَا: إِنِّي خُلِقْتُ قَبْلَكُمَا وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا فَاتَّبِعَانِي أُرْشِدُكُمَا، وَإِنَّمَا يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ- بِاللَّهِ، قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: مَنْ خَادَعَنَا بِاللَّهِ- خَدَعَنَا، ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٥١/٥.

(٢) صحيح البخاري: ٨١/٦.

(٣) والبيت من الطويل، وهو بلا عزو في العين (باب السين واللام والواو معهما): ٢٩٨/٧، ولخالد بن زهير الهُذَليّ كما في التهذيب (أبواب الثلاثي المعتل من حرف السين: باب السين واللام): ٤٩/١٣، والسلوى: العسل، وشار العسل يشوره: أخذه من موضعه في الخلية، ينظر: التاج (ش و ر): ٢٥٢/١٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٤٩/١٢، والبيت من الطويل في ديوان الأعشى: ٢٢٥، شرح وتعليق د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، واختلفوا في معنى (بأسحمَ داجٍ)، فقيل: الدَمُ تُغْمَسُ فيه اليدُ عند التحالف، وقيل: بالرّحِمِ، وقيل: بسواد حَلَمَة الثدى، ينظر: الصحاح (س ح م): ١٩٤٧/٥.

(٥) التفسير البسيط: ٦٤/٩.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢١٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٢٧/٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٤٥١/٥، وتفسير السمرقندي: ٥٠٧/١، والغريبين للهروي: ١٥٤٣/٥، وتفسير الثعلبي: ==

الغريب وموقف العلماء منه:

والوجه الثاني: وهو ما عده الكرماني غريبًا محتمل عند أبي عبيدة، فبعد بيانه أنَّ (قاسَمَهُما) بمعنى الحلف، قال: وله موضعٌ آخر في موضع معنى القسمة(١).

وزاد الماوردي هذا المعنى بيانًا بقوله: (وَقَاسَمَهُمَا) أي قال لهما: إن كان ما قلته خيرًا فهو لكما دوني، وإن كان شرًّا فهو عليّ دونكما، ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما، فكانت هذه مقاسمتهما أن قسم الخير لهما والشر له على وجه الغرور؛ لتنتفي عنه التهمة ويسرع إليه القبول(٢).

تعقيب:

يظهر من خلال هذه الأقوال أن ما عده الكرماني غريبا ليس بغريب، وربما كانت الغرابة فيه كونه مما توسَّعتْ دلالتُه، فقد بيَّن بعضُ اللغويين أنَّ هذه الألفاظ [أَقْسَمَ، وقَاسَمَ، وتَقَاسَمَا] كانت تطلق على الْأَيْمَانِ التي تُقْسَمُ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ إِذَا ادَّعَوْا دَمَ مَقْتُولِهِمْ عَلَى نَاسٍ اتَّهَمُوهُمْ بِهِ، ثم صار اسمًا لكلِّ حلف(٣)، وزاد بعضُهم أنَّ بَاب المفاعلة هُنَا لَيْسَ على

==

٢٢٣/٤، ومعاني القرآن للنحاس: ٢١/٣، وأساس البلاغة (ق س م): ٧٧/٢، وتفسير الخازن: ١٨٨/٢، وفتح القدير: ٢٢٢/٢.

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ص ٢١٢.

(٢) تفسير الماوردي: ٢١٠/٢، وتفسير السمعاني: ١٧١/٢.

(٣) الصحاح (ق س م): ٢٠١٠/٥، والمجمل (ق س م): ٧٥٢/١، والمقاييس (ق س م): ٨٦/٥، والمفردات (ق س م): ٦٧٠.

أَصله، وَإِنَّمَا هُوَ على معنى: فَعَلَ، لَا للمشاركة، فهو من المفاعلة التي تكون من واحد(١).

ويزيدُ الأمرَ جلاءً أن صِيغَةَ الْمُفَاعَلَةِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ تَدُلُّ عَلَى الْمُشَارَكَةِ فَقَدْ وَرَدَتْ لِلْمُفْرَدِ كَثِيرًا وَهَذَا مِنْهَا، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْمُبَالَغَةُ فِي صُدُورِ الْأَقْسَامِ لَهُمَا مِنْ إِبْلِيسَ، وَقِيلَ إِنَّهُمَا أَقْسَمَا لَهُ بِالْقَبُولِ كَمَا أَقْسَمَ لَهُمَا عَلَى الْمُنَاصَحَةِ(٢).

وأكد العوتبي على أنه قَسَمٌ من طرف واحد فقال: حلف لهما ولم يحلفا له، ويكون فاعله لواحد، مثل: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون: ٤] أي قتلهم، ولا يقاتلُ اللهَ أحدٌ(٣)، يقول الثعلبي: وقاسم من المفاعلة، أي: يختصّ الواحد، مثل: المعافاة والمعاقبة والمناولة(٤).

يقول أبو حيان: وَالْمُقَاسَمَةُ مُفَاعَلَةٌ تَقْتَضِي الْمُشَارَكَةَ فِي الْفِعْلِ فَتُقْسِمُ لِصَاحِبِكَ وَيُقْسِمُ لَكَ، وَأَمَّا هُنَا فَمَعْنَى وَقَاسَمَهُمَا: أَقْسَمَ لَهُمَا؛ لِأَنَّ الْيَمِينَ لَمْ يُشَارِكَاهُ فِيهَا، و(فَاعَلَ) قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى (أَفْعَلَ) نَحْوُ: بَاعَدْتُ الشَّيْءَ وَأَبْعَدْتُهُ(٥).

---

(١) التفسير البسيط: ٦٤/٩.

(٢) فتح القدير: ٢٢٢/٢، وتفسير المنار: ٣١٠/٨.

(٣) الإبانة للعوتبي: ٣٤/٤.

(٤) تفسير الثعلبي: ٢٢٣/٤.

(٥) البحر المحيط: ٢٦/٥ بتصرف يسير.

كما احتمل بعضهم أن تكون المفاعلةُ على بابها، قال الزمخشري: فإن قلت: المقاسمةُ أنْ تَقْسمَ لصاحبك ويَقْسِمَ لك تقول: قاسمتُ فلانًا حالفته، وتقاسما تحالفا، ومنه قوله (تعالى): ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٩]؟

قلت: كأنه قال لهما: أقسم لكما إني لمن الناصحين، وقالا له: أتقسم بالله إنك لمن الناصحين؟، فجعل ذلك مقاسمة بينهم، أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها، أو أخرج قَسَمَ إبليسَ على زنة المُفاعلة؛ لأنه اجتهد فيه اجتهاد المُقاسِم(١)، يقول ابنُ عطية: وَقَاسَمَهُمَا أَيْ حَلَفَ لَهُمَا، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ، إِذْ قَبُولُ الْمَحْلُوفِ لَهُ وَإِقْبَالِهِ عَلَى مَعْنَى الْيَمِينِ كَالْقَسَمِ وَتَقْرِيرِهِ(٢).

٥- يقول الله (تعالى): ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، يقول الكرماني: "قوله: ﴿حَنِيذٍ﴾: أي مشوي بالحجارة المحماة.

مجاهد: مطبوخ.

الحسن: نضيج مشوي.

شَمِرٌ: مشوي بقَطر وَدَكِهِ: من قول العرب: حنذت الفرس إذا عرقته بالجلال.

الغريبُ: ﴿حَنِيذٍ﴾: سَمِيطٌ.

---

(١) الكشاف: ٩٥/٢، وتفسير الرازي: ٢٢٠/١٤، وفتوح الغيب للطيبي: ٣٥٣/٦، والدر المصون: ٢٧٩/٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٣٨٥/٢، والبحر المحيط: ٢٦/٥، والدر المصون: ٢٧٩/٥.

السُّدِّيُّ: ﴿حَنِيذٍ﴾: سَمينٌ"[١].

الحَنْذُ: اشتِواءُ اللَّحْم المَحْنوذ بالحِجارة المُسَخَّنة[٢]، وقد اختلف أهل العربية في معناه:

الأول: جمهورُ أهل البصرة وغيرهم على أن الحنيذ هو المَشْويّ: كالخليل، والبخاري، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج[٣].

وأكد أبو عُبيد على أن الحنيذ يعني المشوي بلغة قريش[٤]، أو: ما يُشوى بخذٍّ في الأرض بلغة العمالقة، وما يشوى بالحجارة بلغة هذيل[٥].

الثاني: الحنيذ هو النضيج المشويُّ بالحِجَارَة، وهو ما أكده ابنُ عباس (ﷺ) في مسائل نافع قال: هو النضيجُ، الذي يُشوى بالحجارة[٦]، وتبعه مقاتل مبينًا أنَّ الحنيذ هو الشواء الذي أُنْضِجَ بِحَرِّ النار من غير أن تمسَّه النار، وذلك يكون بالحجارة التي تُحمى وتُجعلُ في سَرَبٍ فتُشْوى[٧]، كما أكده ابن

(١) غرائب التفسير للكرماني: ٥١٢/١.

(٢) العين (باب الحاء والذال والنون معهما): ٢٠١/٣، والتفسير البسيط: ٤٧٠/١١.

(٣) العين (باب الحاء والذال والنون معهما): ٢٠١/٣، وصحيح البخاري: ٧٢/٧، وغريب القرآن لابن قتيبة: ٢٠٥، وتفسير الطبري: ٣٨٣/١٥، ومعاني القرآن للزجاج ٦١/٣.

(٤) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام: ص ٦.

(٥) اللغات في القرآن لابن حسنون: ٣١.

(٦) الإتقان: ٩٧/٢، وينظر: الهداية ٥/ ٣٤٢٨، وزاد المسير: ٣٨٥/٢.

(٧) تفسير مقاتل: ٢٩٠/٢، وتفسير عبدالرزاق: ١٨٨/٢، وتفسير الطبري: ٣٨٣/١٥، وزاد المسير: ٣٨٥/٢.

قتيبة، واستدل عليه بحديث: أنَّ خالدَ بنَ الوليد (ﷺ) أكل مع رسول الله (ﷺ) فأُتي بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ(١).

وقال الراغب: أي: مشويّ بين حجرين، وإنّما يفعل ذلك لتتصبَّب عنه الُّلزوجةُ التي فيه(٢).

وإلى ذلك مال: ابنُ السكيت والبندنيجي(٣)، والزجَّاجُ، وابنُ دريد، والسجستاني، والماتريدي، والخطابي، والجوهري، وابنُ فارس، والثعالبي(٤).

الثالث: وهو رأي الفراء، وفسَّر الحنيذ بأنه ما حَفَرْت لَهُ فِي الأرض ثُمَّ غممته، وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصلُ فقيل: حنيذ، كما قيل: طَبيخ للمطبوخ، وقتيل للمقتول(٥).

الرابع: وهو قول عَطَاءٍ: أن العجلِ الحنيذِ هو النَّضِيجُ السَّخِنُ(٦).

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة: ص ٢٠٥، وكشف المشكل لابن الجوزي: ٣٩٤/٢، والحديث في صحيح البخاري: ٩٧/٧، وصحيح مسلم: ١٥٤٣/٣.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني: ٢٦٠/١.

(٣) إصلاح المنطق: ٦٦، والتقفية للبندنيجي: ٣٣٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦١/٣، والجمهرة (باب الحاء والذال مع النون): ٥٠٩/١، وغريب القرآن للسجستاني: ١٩١، وتفسير الماتريدي: ١٥٤/٦، وغريب الحديث للخطابي: ١٥١/٣، والصحاح (ح ن ذ): ٥٦٢/٢، والمقاييس (ح ن ذ): ١٠٩/٢، وفقه اللغة للثعالبي: ١٨٤.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢١/٢، وينظر: التهذيب (كتاب النون، باب الحاء والذال): ٢٦٨/٤، وزاد المسير: ٣٨٥/٢، واللسان (ح ن ذ): ٤٨٤/٣.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم: ٦/ ٢٠٥٣.

الخامس: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أن الحَنِيذِ هو السَّمِيطُ[١]، وهو ما حكاه الزجاج[٢]، والسَّمِيط والمَسْموط: الَّذِي قد نُزِع شعرُه أَو صُوفُه وَلم يُشْوَ بعدُ[٣]، وسَمَطَ الجَدْيَ والحَمَلَ يَسْمِطُه ويَسْمُطُه سَمْطًا، فَهُوَ مَسْموط وسَمِيطٌ: نتَفَ عَنْهُ الصوفَ ونظَّفه مِنَ الشَّعْرِ بِالْمَاءِ الْحَارِّ ليَشْوِيَه، وَقِيلَ: نتَف عَنْهُ الصوفَ بَعْدَ إِدْخاله فِي الْمَاءِ الْحَارِّ[٤].

السادس: قاله السُّدِّيُّ: أنَّ الحنيذ هو السمين، ونظيره قول الله: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦][٥].

السابع: عَنْ شَمِرِ بْنِ عَطِيَّةَ: أنَّ الحنيذَ هُوَ الَّذِي يَقْطُر مَاؤُه وَقد شُوِي، وهو ما حكاه الزجاج[٦]، والماتريدي[٧]، وابنُ الجوزي[٨]، وقال الأزهري: وَهَذَا أَحْسنُ مَا قيل فِيهِ[٩].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٨٣/١٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٦/ ٢٠٥٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ٦١/٣، زاد المسير: ٣٨٥/٢.

(٣) المخصص: ٤١٨/١.

(٤) اللسان (س م ط): ٣٢٢/٧.

(٥) تفسير السمرقندي: ١٦١/٢، وينظر: تفسير الماتريدي: ١٥٤/٦، وفتح الباري: ٥٤٢/٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦١/٣.

(٧) تفسير الماتريدي: ١٥٤/٦.

(٨) زاد المسير: ٣٨٥/٢.

(٩) التهذيب كتاب النون، باب الحاء والذال): ٢٦٨/٤، واللسان (ح ن ذ): ٤٨٤/٣، والتاج (ح ن ذ): ٣٩٧/٩.

تعقيب:

ولا مانعَ من تضافُرِ كلِّ هذه الأقوال، وربَّما هي طرقٌ متعددةٌ لإنْضاج اللحم، تختلفُ باختلاف الأشخاص أو الأماكن، يقول أبو جعفر الطبري: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقارباتُ المعاني بعضها من بعض(١).

وَقد يكون اختيار الخليل إبراهيم طريقة الشَّيَّ لأنه أَسْرَعُ مِنَ الطَّبْخِ، فَهُوَ أَعْوَنُ عَلَى تَعْجِيلِ إِحْضَارِ الطَّعَامِ لِلضَّيْفِ(٢)، وهو أمارةٌ على الكرم الذي تعددتْ صوره وألوانُهُ عند الخليل:

فقد اختار أطيبِ أنواعِ اللحومِ وأرقاها، فجاء بعجلٍ، والعجلُ هو ولدُ البقرة(٣)، البقرة(٣)، ومعلومٌ أن لحمَ العجول من أجود أنواع اللحوم لفوائده المتعددة.

ثم في سَمَنِهَا وكثرتِها، فلم يرضَ أن يأتيَ بأي عجل، وإنما اختاره سمينًا.

ثم كانت غاية الكرم في طريقة طبخ العجل وإعداده: فقد أنضجه ليصير كما يعرف في زماننا بـ (الكباب): ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ [هود:٦٩]

فسلامُ اللهِ على أبي الضيفان، خليل الله إبراهيمَ (عليه السلام).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٨٣/١٥.

(٢) التحرير والتنوير: ١١٧/١٢.

(٣) اللسان (ع ج ل): ٤٢٩/١١.

نتائج البحث

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله وكرمه تُرفعُ الدَّرجات، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ خَتَمَ اللهُ به الرسالات، وارضَ اللهمَّ عن آلِهِ وصحبِهِ أُولى الفضْلِ والكرامات، وعنَّا معهم ما دامتِ الأرضُ والسموات، أما بعد ...

فقد أذن اللهُ (تعالى) لي -بمنِّه وكرمه- بمعايشة تفسيرِ من التفاسير التي عَرَضَتْ للغرائب، وهذه بعضُ النتائجِ التي منَّ اللهُ (ﷻ) عليَّ باستخلاصها، من تلك المُعايشةِ المباركة مع الكرماني وتفسيره:

أولًا: كَشَفَ البحثُ اللثام عن شخصية لغوية هو الإمام الكرماني، إمامٌ كبيرٌ، محققٌ، ثقةٌ، كبيرُ المحل، وكان عجبًا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، عُرِفَ بتاج القراء، وجمع بين القراءات والتفسير واللغة والنحو والصرف.

ثانيًا: ضمَّنَ الشيخ كتابه (غرائب التفسير وعجائب التأويل) أقوالًا منكرة هي عجائبُ عند العوام، وغرائبُ عمَّا عُهِدَ عن السلف، لا يحلُّ الاعتقادُ فيها، ولا ذكرُها، وكان غرضُه من إيرادها التحذيرَ من تداولِها، والاغترارِ بها بين العوام.

ثالثًا: لم يكن الشيخُ يقفُ أمام الغرائب والعجائب التي يُوردها مكتوفَ اليد، بل كان يردُّها، ويستنكرُ بعضها قائلًا: "وهذه وأمثالُها يجبُ الاستغفارُ منها".

رابعًا: كان أثرُ كتاب الكرماني فيمن جاء بعده واضحًا، فقد نقل عنه ابنُ الهائم في تفسيره، كما تأثَّر به السيوطي في العديد من مؤلفاته، كالإتقان والإكليل والمُهذَّب ومُعترك الأقران ومُفحمات الأقران، كما نقل عنه الآلوسي في تفسيره كثيرًا.

خامسًا: لم يكن الكرماني حالَ تأليفه كتابه كحاطبِ ليلٍ ينقلُ كما اتُّفِق، وإنما بنى الشيخ كتابه على أسس قويمة، فإنه لمْ يترك رأيًا تفسيريًّا دون أن يُسنده إلى الصحابة أو التابعين أو غيرهم، وكذلك فعل مع الآراء النحوية واللغوية، وكثيرٍ من القراءات الشاذة، مما يجعل أيَّ اتهام له بأنه يتكلَّمُ في القرآن بلا سندٍ ولا نقلٍ عن السلف، ولا رعاية للأصول الشرعية، والقواعد العربية، اتهامًا بلا دليل.

سادسًا: بلغتْ جملةُ الألفاظ محل الدراسة سبع عشرة لفظة، والتي وصفها الكرماني بالغرابة، ثبتت غرابةُ ثنتي عشْرة لفظةً منها، وأما الألفاظُ الخمسةُ الباقيةُ فقد استطاع البحثُ أن يعالجها وينفي عنها صفة الغرابة، ولذا وضعتُها تحت مبحث مستقل سميته: ما وصفه الكرماني بالغرابة وليس بغريب.

سابعًا: تنوعَّتْ أسبابُ الغرابة في الألفاظ محل البحث: فمنها ما خالف السياق، ومنها ما كان سبب غرابته اختلاف اللهجات، أو العجمة، وجملة ذلك اثنتا عشرة لفظة.

ثامنًا: الغرابةُ ليستْ وصفًا قائمًا بذات اللفظ، وإنما هي أمرٌ نسبيٌّ يرتبطُ بالمقام وحال المخاطب، وكذلك بالزمان الذي قيل فيه، ويؤكد ذلك تفاوتُ درجات الغريب بمقدار العناية بحفظه، حتى يبلغ أحيانًا أن لا يُعدَّ غريبًا إلا ما ذهب معناه وشاهدُهُ من العلم، كما يؤيدُ ذلك إمكانية شرح الغريب وتفسيره لدى الكثيرين، ولا سيما غريب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

تاسعًا: لا يُعدلُ عن ظاهر القرآن إلا بدليل، فإذا كان ظاهرُ القرآن يؤيّدُ أنَّ لفظة من ألفاظه على حقيقتها، فإنه لا يُعدلُ عن غيرها إلا بدليل.

عاشرًا: لهذه التأويلاتِ الغريبةِ في تفسير ألفاظ القرآن الكريم آثارُها الخطيرةُ في فهم كتاب الله (تعالى)، لذا يجبُ اجتنابُها، وتنزيهُ كتابه عن أن تكون من جملة معانيه؛ لنبوِّ لفظه عنها، أو كونها مخالفة للقواعدِ المأخوذةِ من القرآن والسنة، كما يجبُ الوقوف لها، بدحضها، وكشف الخطأ فيها ما أمكن ذلك.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبانة في اللغة العربية لأبي المنذر العوتبي، تح/ د. عبدالكريم خليفة، وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي، تح/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية– لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني، دار صادر– بيروت.
- أحكام القرآن للجصاص، تح/ محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٠٥هـ.
- أساس البلاغة للزمخشري، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م.
- إصلاح المنطق لابن السكيت، تح/ محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٤م.
- الأضداد لابن الأنباري، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- إعراب القرآن للنحاس، تح/ عبدالمنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، أيار/ مايو ٢٠٠٢م.
- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لإسحاق بن الحسين المنجم، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، تح/ سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لأبي القاسم النيسابوريّ، تح/ سعاد بنت صالح بابقي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- البحر المحيط لأبي حيان، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، تح/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان/ صيدا.
- البلدان لليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تح/ عبدالكريم العزباوي وآخرين، سلسلة التراث العربي من إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- تاريخ آداب العرب للرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، د ت.
- تاريخ المدينة لعمر بن شبة، تح/ فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة السيد/ حبيب محمود أحمد– جدة، ١٣٩٩هـ.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تح/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- التبيان في إعراب القرآن للعكبري، تح/ علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، تح/ د ضاحي عبدالباقي، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تحرير ألفاظ التنبيه للنووي، تح/ عبد الغني الدقر، دار القلم دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤هـ.
- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم لعبدالرزاق الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام التيمي، تح/ هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.
- تصحيح الفصيح، تح/ د. محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- التعريب والمعرب وهو المعروف بحاشية ابن بري، تح/ د. إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت.
- التعريفات للشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- تفسير ابن أبي حاتم، تح/ أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
- تفسير ابن كثير، تح/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- تفسير الإمام الشافعي، تح/ د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية- السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- التفسير البسيط للنيسابوري، تح/ لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تح/ عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- تفسير التستري، تح/ محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) لأبي إسحاق الثعلبي، تح/ الشيخ الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- تفسير الراغب الأصفهاني، تح/ د. محمد عبدالعزيز بسيوني، كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- تفسير السمعاني، تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض– السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- تفسير الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

- تفسير الطبري، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب= التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن لابن المنذر، تح/ د، سعد بن محمد السعد، دار المآثر- المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تح/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- تفسير الكشاف للزمخشري، تح/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- تفسير الماتريدي، تح/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م.
- تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- تفسير النسفي، تح/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهرري، تح/ د. هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- تفسير عبدالرزاق، تح/ د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ.
- تفسير غريب القرآن، تأليف: كاملة الكواري، دار بن حزم، ط١، ٢٠٠٨م.
- تفسير مجاهد بن جبر، تح/ د. محمد عبدالسلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- تفسير مقاتل بن سليمان، تح/ د. عبدالله شحاته، دار إحياء التراث– بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

- التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- تفسير يحيى بن سلام، تح/ د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- التقفية في اللغة للبندنيجي، تح/ د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية- وزارة الأوقاف- إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني– بغداد، ١٩٧٦م.
- التكملة والذيل والصلة للصاغاني، تح/ مجموعة من العلماء، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤م.
- التلخيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء لأبي هلال العسكري، تح/ د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.
- تهذيب اللغة للأزهري، تح/ عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، عالم الكتب- القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- الجامع لعلوم الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: خالد الرباط، وآخرين، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث- الفيوم، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، تح/ علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- جمهرة اللغة لابن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدرآباد، ط١، ١٣٤٤هـ.
- حجة القراءات لأبي زرعة، تح/ سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، تح/ بدر الدين قهوجي- بشير جويجابي، دار المأمون للتراث- دمشق / بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- حلية الفقهاء لابن فارس، تح/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع– بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الحمَاسَة الصُّغرى لأبي تمام، تح/ عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
- الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تح/ د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- دراسات في المعاجم الخاصة د. عبدالتواب الأكرت، ط٢، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٦م.
- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تح/ عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي، تح/ د. محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ديوان الأعشى، شرح وتعليق د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
- ديوان جرير، تح/ كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له/ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ديوان النابغة الجعدي، جمع د. واضح الصمد، دار صادر، ط١، ١٩٩٨م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، تح/ علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري، تح/ مسعد عبدالحميد السعدني، دار الطلائع.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري، تح/ د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- زهرة التفاسير لأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.
- السبعة لابن مجاهد، تح/ شوقي ضيف، دار المعارف– مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- السجستاني لغويًّا في ضوء كتابه تفسير غريب القرآن د. عبدالمنعم عبدالله محمد، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- سر صناعة الإعراب لابن جني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، تح/ محمود عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول– تركيا، ٢٠١٠م.

- سنن أبي داود، تح/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- الشَّافِي في شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيرْ، تح/ أحمد بن سليمان، مَكتَبة الرُّشْدِ، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب للرضي الإستراباذي، تح/ محمد محيى الدين عبدالحميد وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- شرح الفصيح لابن هشام، تح/ د. مهدي عبيد جاسم، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، تح/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- شرح مشكل الآثار للطحاوي، تح/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- شرح معاني الآثار لأبي جعفر الطحاوي، تح/ محمد زهري النجار، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميرى، تح/ د. حسين بن عبدالله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر (بيروت- لبنان)، دار الفكر (دمشق- سورية)، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- الصاحبي لابن فارس، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تح/ أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، ١٩٩٠م.
- صحيح ابن حبان، تح/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- صحيح البخاري، تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، تح/ محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

- الطبقات الكبرى لابن سعد، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومَنْ بَعْدَهُمْ، تح/ زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الطبقات الكبرى لابن سعد، تح/ محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- طبقات المفسرين لشمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية– بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر. طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنهوي، تح/ سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم– السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الإشبيلي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، الناشر: دار المعارف ضمن سلسلة ذخائر العرب.
- طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ العراقي، تح/ حمدي الدمرداش محمد، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- علم الصوتيات، د. عبدالله ربيع، ود. عبدالعزيز علام، مكتبة الرشد، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، تح/ عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- العين للخليل بن أحمد، تح/ د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، تح/ د. شمران العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، د ت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، تح/ الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٦هـ.

- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم، تح/ د. محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- غريب الحديث للخطابي، تح/ عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
- غريب القرآن لابن قتيبة، تح/ أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- غريب القرآن للسجستاني، تح/ محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة– سوريا، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- الغريبين لأبي عبيد الهروي، تح/ أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تح/ علي الشبل، دار السلام الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- فتح القدير للشوكاني، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تح/ إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- كتاب فيه لغات القرآن للفراء، تح/ جابر بن عبدالله السريع، ١٤٣٥هـ.
- الكتاب لسيبويه، تح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تح/ د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة المثنى– بغداد ١٩٤١م.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تح/ علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن الرياض.

- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- اللغات في القرآن لابن حسنون بإسناده إلى ابن عباس، تح/ صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر النيسابوريّ، تح/ سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية– دمشق، ١٩٨١م.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة، تح/ محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي– القاهرة، ١٣٨١هـ.
- مجمع الآداب في معجم الألقاب لكمال الدين الفوطي الشيباني، تح/ محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١٦هـ.
- المحتسب لابن جني، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تح/ عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تح/ د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- المحمدون من الشعراء وأشعارهم لجمال الدين القفطي، تح/ حسن معمري، وحمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- المخصص لابن سيده، تح/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفيّ الدين الحنبلي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، تح/ د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.
- مسند الإمام أحمد، تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، تح/ د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- المصباح المنير للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- المطلع على أبواب المقنع للبعلي الحنبلي، صنع/ محمد بشير الإدلبي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد د. أحمد طه سلطان، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب- جامعة الملك سعود، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- معاني القرآن للأخفش، تح/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- معاني القرآن للفراء، تح/ محمد علي النجار وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة– مصر، ط١.
- معاني القرآن للنحاس تح/ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تح/ عبدالجليل شلبي، عالم الكتب– بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، دار الكتب العلمية- بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، تح/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- المعجم الكبير للطبراني، تح/ حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- معجم ديوان الأدب للفارابي، تح/ د. أحمد مختار عمر، طبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- المعرب للجواليقي، تح/ أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، ط٢، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- معرفة السنن والآثار للبيهقي، تح/ عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الوفاء المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي، تح/ د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق– بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة لابن فارس، تح/ عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- من بلاغة القرآن لأحمد البيلي، نهضة مصر- القاهرة، ٢٠٠٥م.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، تح/ التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة- بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت في القرآن الكريم لأبي الحسن القيرواني، تح/ د. عبدالله عبدالقادر الطويل، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تح/ طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م
- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، تح/ محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب، تح/ محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم- السعودية/ المدينة المنورة ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

م	الآية	رقمها	السورة
١	آمين		ختام سورة الفاتحة
٢	﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾	١٨٧	البقرة
٣	﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾	٤٤	آل عمران
٤	﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾	٣	النساء
٥	﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾	٣٧	النساء
٦	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾	٥١	النساء
٧	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾	١٣	المائدة
٨	﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾	٧٣	الأنعام

م	الآية	رقمها	السورة
٩	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾	٧٤	الأنعام
١٠	﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	الأعراف
١١	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾	١٦٧	الأعراف
١٢	﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٤٦	الأنفال
١٣	﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ ﴾	٥	هود
١٤	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾	٤٠	هود
١٥	﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾	٦٢	هود
١٦	﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾	٦٩	هود
١٧	﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾	٧١	هود

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	
تمهيد	
الأول: التعريف بالإمام الكرماني، وكتابه	
الثاني: تعريف الغريب، ونشأته	
المبحث الأول: ما خالف السياق	
المبحث الثاني: ما سبب غرابته اختلاف اللهجات	
المبحث الثالث: ما سبب غرابته العجمة	
المبحث الرابع: ما وصفه الكرماني بالغرابة وليس بغريب	
الخاتمـــــة	
أهم المصادر والمراجع	
فهرس الآيات القرآنية الكريمة	
فهرس الموضوعات	